بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

[أنائمٌ أنت عن كتب الحديث وما
أتى عن المصطفى فيها من الدينِ
كمسلم والبخاري اللذين هما
شدًا عُرى الدِّينِ في نقلٍ وتبيينِ
أولى بأجر وتعظيم ومَحْمَدَةٍ
من كل قول أتى من رأي سَحنونِ
يا مَنْ هدى بهما اجعلني كمثلهما
في نصرِ دينك محضاً غير مفتونِ
الإمام أبومحمد ابن حزم.

* * *

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن عيبي أن مطلعيَ الغربُ
ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ
لجدَّ على ما ضاع من ذكريَ النهبُ
ولي نحو أكناف العراق صبابةٌ
ولا غرو أن يستوحش الكلف الصبُّ
فإن يُنزل الرحمن رحليَ بينهم
فحينئذٍ يبدو التأسف والكربُ
هنالك يُدرى أن للبُعد قصةً
وأنَّ كسادَ العلم آفته القُربُ
الإمام أبومحمد ابن حزم]

ح مكتبة دار ابن حزم ،١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن حزم ، علي بن أحمد
رسالة التلخيص لوجوه التخليص ـ الرياض ١٤٢٦هـ
٣٣٢ص ؛ ٢٤ سم
ردمك : ٣-٦٨-٧٩٥-٩٦٦٠
١- الوعظ والإرشاد أ. الظاهري ، سعود بن خلف (محقق) أ- العنوان
ديوي : ٢١٣ ١٤٢٦/٥١
رقم الإيداع : ١٤٢٦/٥١
ردمك : ٣-٦٨-٧٩٥-٩٦٦٠

* * *

[كفاني بذكر الناس لي ومآثري
ومالك فيهم يا ابن عميَ ذاكرُ
عدوّي وأشياعي كثيرٌ كذاك من
غدا وهو نفّاع المساعي وضائرُ
وإني وإنْ آذيتني وعققتني
لمحتملٌ ما جاءني منك صابرُ
الإمام أبومحمد ابن حزم يخاطب ابن عمه.]

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع
الرياض . ص.ب : ٢٢٥٦٦ الرمز البريدي : ١١٤١٦
شارع السويدي العام ـ هاتف وفاكس ٤٢٧٥١١٧ جوال ٠٥٠٣١٢٢٩٣٥
المملكة العربية السعودية

مكتبة الإمام أبي محمد ابن حزم
تحقيق مؤلفاته
(١)

رسالة التلخيص لوجوه التخليص

للإمام أبي محمد ابن حزم الأندلسي الظاهري
رحمه الله تعالى

* * *

[من ظل يبغي فروع علم بدءاً ولم يدرِ منه أصلا
فكلما ازداد فيه سعياً زاد لعمري بذاك جهلا]

أبو محمد ابن حزم

* * *

خرّج الأحاديث وعلق عليها :
أبو عبدالملك سعود بن خلف ابن تويميس الشمري الظاهري

قدّم له وراجعه :
أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
(محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل)
ـ عفا الله عنهم ـ

[قال أبوعامر ابن شهيد يمدح الإمام ابن حزم ـ وكان يومها شافعياً ـ:

ودون اعـــتزامي هضـــبة كســـروية
مـــن الحـــزم ســـلمانية في المكاســـر

إذا نحـــن أســـندنا إلـــيها تبلجـــت
مواردنـــا عـــن نـــيِّرات المصـــادر

وأنـت ابـن حـزم مـنعش مـن عـثارها
إذا مـــا شـــرقنا بـــالجدود العواثـــر

ومـا جـد أذيـال الغـنى نحـو بيـته
كـــأروع معـــرورٍ ظهـــور الجرائـــر

إذا مـا تـبغّي نضـرة العـيش كـرها
لـــدى مشـــرع لـــلموت لجـــة ناظـــر

فَسَـلْ مـن الـتأويل فـيها مهـنداً
أخـــو شـــافعيات كـــريم العناصـــر

لمعـــتزلي الـــرأي نـــاه عـــن الهـــدى
بعـــيد المـــرامي مســـتميت البصـــائر

يطالـــب بالهـــندي في كـــل فـــتكة
ظهـــور المذاكـــي عـــن ظهـــور المـــنابر

* * *

دعونـــي مـــن إحـــراق رَقٍّ وكـــاغد
وقولـوا بعـلم كـي يـرى الـناس مـن يـدري

فـإن تحـرقوا القـرطاس لا تحـرقوا الذي
تضـــمنه القـــرطاس إذ هـــو في صـــدري

الإمام أبومحمد ابن حزم.]

فهرس إجمالي

* * *

[قال الإمام أبومحمد ابن حزم رحمه الله تعالى : «وأما معنى الفقه فهو التنبُّه لما في الآية من القرآن، ولما في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ من الأحكام.. وهذه درجة يعطيها الله عز وجل لمن يشاء من عباده.. قال رسول الله ﷺ : رُبَّ حامل فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه.. وقال عليه السلام: رُبَّ مبلِّغٍ أوعى من سامع.. أو كما قال عليه السلام؛ فصَحَّ بهذا أنه قد يكون في المتأخرين من هو أفقه من كثير من المتقدمين، وهذا نفس معنى كلامه ﷺ .. ومن قرأ كتب العلماء والفقهاء والسالفين والخالفين من المذكورين وغيرهم : وقف يقيناً على الأفقه منهم .. ولا سبيل إلى أن يعرف ذلك من اقتصر على رأي رجل منهم دون غيره ؛ لأنه يحكم بما لا يدري فيما لا يدري .. وهذا جور لا يحل » .

الرسالة الباهرة ص٤٦-٤٧.]

الاستفتاح، والمقدمة للناشر:

الحمد لله خالق الأمم ومفنيها، وباعث الرِمَمِ ومُحْييها .. مُوجِد النفوس ومسعدها ومشقيها، مُفَصِّل القِسَم ومؤتيها، عالِمِ جرمات[1] العالَم ومحصيها، ومقدرها ومنشيها.. مُحاسب النفوس، الملك القدوس.. مانح العقل، مُفيض العدل .. إله العالَم، الحيُّ القيُّوم العالِم .. جل الله ربُّنا وعلا، لا إله إلا هو له الحمد في الآخرة والأولى .. أحمده حمداً جزيلاً، بُكرة وأصيلاً، كما ينبغي لكرم وجهه وجلاله، وسعة آلائه وإفضاله.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُخلص في عَلَنه ونجواهُ، عالم أنهُ لا إله للعالَم سواه .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، الآتي بالحق المبين .. وصلواتُ الله وسلامه على أنبيائه والمرسلين، واخصُصِ اللهم منهم خيرَهم من نوْع الإنسان ــ المبعوث إلى الإنس والجان، المنسوخ بملته الملل ولا ناسخ لملَّتِه ...[2] بشريعته الثقلين إلى انقضاء هذا العالم وقيام ساعته ـ بأفضل صلاة وأزكاها، وأرفع[3] درجة

---

(١) هكذا في الأصل الذي استعرت منه مقدمتي هذه ـ وهو المورد الأحلى ـ وهو يريد جرائم العالم بدليل ما يأتي في السياق عن الحساب.. فإن كانت الجيم مضمومة فلا أعلم لذلك وجهاً؛ لأن جمع الجرم أجرام وجروم.. وورد في لغة العرب « جَرَمَة » فالجمع جَرِمات بفتح الجيم مثل كلمة وكلمات، وقد أورد اللغويون بيتاً لم ينسبوه لقائل كما في تاج العروس ١٦/ ١٠١، وهو:

فــإنَّ مـــولاي ذو يُعـــيِّرُني لا إحـــنةٌ عـــنده ولا جَــرِمة

(٢) في الأصل مكان هذه النقط « ﷻ » ولم أعرف معنى هذا الرسم؛ لأنه في طرف الصفحة، وما بعده محو لم يظهره التصوير ؛ فلعل الصواب « الْمُلزِم » .

(٣) في طرف السطر « و » ثم بعد ذلك محو، والمحتمل « أرفع » أو « أعلى »؛ فأثبَتُّ أحد الاحتمالين .

وأسماها.. قال الله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب/ ٥٦] ؛ فأورد تعالى هذا النص خبراً وأمراً، وكفى بذلك فخراً ؛ فجزاه الله عنا أفضل ما جزى به نبياً عن أتباع دعوته ؛ فلقد أدّى أمانة ربه، ونصح لأمته، وأوضح لهم سُبُل الحق، ونهج لهم سنن الصدق، وأبانَ لهم وحي ربه تعالى وما أراده [منهم][٤] فيما خاطبهم به ؛ فظهرت معالم شريعة الله على يديه، فيما أوحى تعالى إليه من القرآن مُفصلاً منجماً مقدراً بأوقات الحوادث مقسّماً؛ ليبيِّنه رسوله وأمينه كما افترض عليه .. قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل / ٤٤]، وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [سورة النحل / ٦٤] .. قرن تعالى طاعتَه بطاعتِهِ، وجعل اتّباعَهُ شرطاً في استفادة محبتِهِ .. قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران / ٣١]، وقال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ

---

(٤) قال أبوعبدالرحمن : ما بين المعقوفتين يقتضيه السياق، ويدل عليه حرف الميم الباقي في آخر السطر الممسوح ما بعده .

مَعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النور]، وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة التغابن / ١٢]، وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء / ٦٤]، وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب / ٣٦]، وقال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء / ٨٠]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأنفال]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة الأنفال / ٢٤]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [سورة النساء / ٦١]، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور / ٦٣]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [سورة الحشر/ ٧]، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة آل عمران / ٢٣]، وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء / ٦٥]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ

هي أحد الأصول المرجوع إليها عند التنازع .. ولا يجوز تنازع[(١٠)] في المسألة إلا مع عدم الإجماع فيها .. والأصول ثلاثة والإجماع أحدها ؛ فإذا بطل الإجماع بالتنازع بقي الأصلان الآخران اللذان [الرد][(١١)] إليهما واجب عند التنازع ؛ لقولـه تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ .. والبرهان قائم على أن المراد بقولـه : ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ : إنما معناه إلى القرآن والخبر .. تقديره : فردوه إلى كتاب الله تعالى وخبر رسوله [ﷺ] على تقدير حذف مضاف ؛ وبيان ذلك أن [الأمة][(١٢)] مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا وإلى كل من يخلق إلى قيام الساعة من الثقلين، وإلى من كان في عصره[(١٣)] عليه السلام، وكل من أتى بعدهم عصراً فعصراً[(١٤)] ولا فرق، وقد علمنا علماً

---

(١٠) في الأصل : ولا يصح التنازع .. وصحح في الهامش بعلامتي « خ » فوق الكلمتين بعبارة « ولا يكون تنازع »، وعلامة « خ » تعني عند النساخ أن الحرف مخفف، وعلامة «خـ» تعني الزيادة، فلعل نقط الخاء سهو وأن الأصل الحاء المهملة، وهي تعني الاحتمال .

(١١) في صورة الأصل وردت الكلمة آخر الصفحة ممحوٌ نصفها ؛ فأثبتُ ما بين المعكوفين اجتهاداً .

(١٢) ما بين المعقوفين يقتضيه السياق، وقد أثبته من الإحكام ١/ ٩٧ .

(١٣) في الأصل: عصره.. وصحح في الهامش إلى «عهده» بعلامة «خ».. قال **أبوعبدالرحمن:** كلمة عصر هي المناسبة لما يأتي من سياقه .. والذي في الإحكام ١/ ٩٧ « عهده »، ولكن لم ترد كلمة « عصراً فعصراً » .

(١٤) في صورة الأصل : « عصراً فعصراً إلى من على إلينا ولا فرق » ؛ فرسم « على » غير مفهوم، وعلى جملة « إلى من على » علامة التحويق، وكان ينبغي أن يشمل التحويق كلمة « إلينا » .

مشكوراً كثيراً من ذلك، وبقيت أمورٌ استدركتها بتحشيتي، واضطررت إلى المقارنة بنسخة المخطوط لرسالة التلخيص التي لا أعلم وجود غيرها الآن، وهي نسخة شهيد علي التي اعتمدها أستاذنا الدكتور إحسان عباس في تحقيقه للكتاب، وعلى طبعة الدكتور إحسان اعتمد المحقق الفاضل الشيخ سعود ابن نويميس .. كما أن الكتاب صدر بتحقيق الشيخ عبدالحق التركماني، وصدر عن دار ابن حزم ببيروت، ومركز البحوث الإسلامية عام ١٤٢٣هـ وقال في تصديره للكتاب : «ورد عنوان الرسالة في النسخة الخطية في فهرس المجموع، وفي أول الرسالة وآخرها هكـذا : «التلخيص لوجـوه التخليص»[١٩] .. وذكرها العلامـة الفيروزأبادي [٨١٧هـ] باسم « رسالة في التلخيص في تخليص الأعمال »[٢٠] .. وذكرها الإمام الذهبي [-٧٤٨هـ] باسم كتاب إرشاد المسترشد ؛ فقال في « تاريخ الإسلام»[٢١] في ترجمة أبي الخيار الشنتريني: « وقد ذكره أبومحمد ابن حزم، وأثنى عليه؛ فقال في كتاب « إرشاد المسترشد »: لقد كان لأهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ أبي الخيار معتقدٌ قويٌّ، ومقصِدٌ كافٍ .. نفعه الله بفضله، وبعلمه، وصدعه بالحق، ورفع بذلك درجته » .

---

(١٩) التخليص: التنجية من كل مَنْشَب.. تقول: خلَّصته من كذا تخليصاً، اي نجَّيته تنجية فتخلّص، ومنه خلَّصَه الله من ورطته، وخَلَّصَ الشيْء يُخَلِّصُه تخليصاً صفَّاه ونقَّاه مما يشُوبُه.. ومنه خلَّصَ الحَبُّ من الحصى، وخلَّص الشَّيْءَ: مَيَّزهُ من غيره.. ينظر لسان العرب مادة خلص [عبدالحق].

(٢٠) « البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة » الترجمة (٢٢٧) ص١٤٧ تحقيق محمد المصري الكويت ١٩٨٧م.. وقد أثبت المحقق في المتن « تلخيص الأعمال »، وأشار في الهامش إلى أنها في النسخة الأخرى ـ من النسختين اللتين اعتمد عليهما في تحقيق الكتاب ـ (تخليص الأعمال).. قلت : هذا هو الصواب [عبدالحق] .

(٢١) ٢٩/ ١٨٤ حوادث ووفيات (٤٢١-٤٣٠) الترجمة (٢١٥) [عبدالحق] .

ضرورياً أنه لا سبيل لنا إلى لقاء رسوله عليه السلام لنكلمه، وكذلك من قبلنا [عصراً][١٥] فعصراً إلا من عاصره ولقيه عليه السلام.. وحتى لو شغَّب مشغِّب بأن هذا الخطاب متوجه إلى ذلك في[١٦] عصره لما أمكنه هذا الشغب في الله تعالى ؛ إذ لا سبيل إلى ذلك فيه[١٧] ؛ فبطل هذا الشغب، وصح أن المراد بالرد المذكور في الآية إنما هو إلى القرآن والخبر المنقول على مر الدهور إلينا .. على أنه ليس في الآية ذكر لقاء ولا مشافهة، وإنما فيها الرد إليهما عند التنازع فقط .. والرد منا إليهما إنما هو عبارة عن تحكيمهما، وتحكيمهما إنما هو عبارة عن قبولهما، والانتهاء عما زجرا عنه.. وبالجملة فالمطلوب منا إنما هو الوقوف عند ما ذُكِر به فيهما مما يوجب الزلفى لديه تعالى وننتهي بهذه الأصول إلى أقسام لا يخرج عن هذا العدد . وبالله تعالى التوفيق[١٨] .

قال أبوعبدالرحمن : أما بعد : فقد سررتُ بهذا العمل الذي ناولنيه أخي أبوعبدالملك سعود بن خلف ابن نويميس الشمري الظاهري مع كتاب له آخر في أحكام الغناء ؛ فوجدت في الأخير صورةً لاندفاعي وحماسي لظاهرية ابن حزم في صلف الشباب، ووجدتُ في الأول عناية بالصنعة الحديثية ؛ وذلك بإسهابه في التخريج، وقد كتبتُ إليه بأن يُعنى بجانب الدراية وضبط النص، فأنجز

---

(١٥) ما بين المعقوفتين يقتضيه السياق .

(١٦) هكذا في الأصل إضافة إلى الهامش.. وفي الإحكام ١/ ٩٧: « إلى من يمكنه لقاء رسول الله ﷺ » .

(١٧) قال أبومحمد في الإحكام ١/ ٩٨ : « إذ لا سبيل لأحد إلى مكالمته تعالى » .

(١٨) استعرت هذا الاستفتاح من كتاب « المورد الأحلى في اختصار المحلى » لأحد تلاميذ الذهبي، ولا يزال محفوظاً بالخزانة العامة بالرباط، ومادته كلام الإمام ابن حزم رحمه الله مفرّقاً في كتبه .

(أدنى الإيذاء)؛ لأن هذا المجاز هو الغالب في الاستعمال وهو لا يحتاج إلى قرينة، والمعنى الحقيقي لا يُفهم إلا بقرينة كأن يكون عند عود حطب مدخِّن؛ فيُطلَب منه الأفُّ لإطفائه، أو يكون عند سراج؛ فيُمنَعُ من الأف حتى لا ينطفئ .. وقد أسلفت أن الظاهر هو مراد المتكلم من خطابه سواء أكان بأسلوب الحقيقة أم بأسلوب المجاز .

قال أبوعبدالرحمن : ولقد سئلت كثيراً عن الظاهر في الصحافة وأجبت كثيراً بأجوبة متنوعة، ومن الأجوبة الحاضرة بين يدي الآن جواب حررته للأستاذين محمد بن عبدالله الفوزان من محافظة الغاط بمناسبة استفساره بقولـه : « هل المذهب الظاهري مستقل عن المذاهب الأربعة كالزيدي، أو أنه مذهب متفرع عن أحدها مثل مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، أو مذهب لغوي ؟؟.. ومتى ظهر هذا المذهب ، وأين ظهر ، ومن أول القائلين به ، ولماذا ينتسب الشخص إلى المذهب كأنه كنية له ؟؟ » ؛ فكانت إجاباتي بالإفادات التالية :

وجهه فشهد عليه من شهد ذلك كله؛ فقال الشاهد : إن زيداً ـ يعني القاتل أو القاذف أو الضارب ـ قال لعمرو: « أف » يعني المقتول أو المضروب أو المقذوف ـ: لكان بإجماع منا ومنهم كاذباً آفكاً شاهد زور مفترياً مردود الشهادة؛ فكيف يريد هؤلاء القوم منا أن نحكم بما يقرون أنه كذب؟.. فكيف يستجيزون أن ينسبوا إلى الله تعالى الحكم بما يشهدون أنه كذب؟ ونحن نعوذ بالله العظيم من أن نقول أن نهْي الله عز وجل عن قول: « أف » للوالدين يفهم منه النهي عن الضرب لهما أو القتل أو القذف؛ فإذ لا شك عند كل من له معرفة بشيء من اللغة العربية أن القتل والضرب والقذف لا يسمى شيء من ذلك « أف »: فبلا شك يعلم كل ذي عقل أن النهي عن قول « أف » ليس نهياً عن القتل ولا عن الضرب ولا عن القذف، وأنه إنما هو نهي عن قول «أف» فقط » .

قال أبوعبدالرحمن : لا يسمى الضرب والقتل أفّاً، وإنما الأف مجاز عن أقل الإيذاء، فيحرم بالضرورة ما هو فوق الأقل والأدنى، وذلك هو ظاهر الكلام المركّب بالمجاز الذي غلب استعماله، وهو قاضٍ على ظاهر مفردة « أف » لغة في غير كلام مركب.

الإفادة الأولى : أن مذاهب أهل القبلة على قسمين : مذاهب عقيدية[(٢٨)] ومذاهب فقهية .. فالعقيدية مثل سنة وشيعة ومعتزلة وأشعرية وخوارج ؛ والفقهية مثل حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية .

والإفادة الثانية : إذا قيل مذهب الإمامية، أو الزيدية أو الإباضية فالمراد أنها مذاهب عقيدية وفقهية في آن واحد .

والإفادة الثالثة : ليس كل من انتسب إلى الأئمة الأربعة فقهياً يكون منتسباً إليهم عقديًّا، ففي كل المذاهب الأربعة معتزلة وأشعرية .. إلخ .

والإفادة الرابعة : لم ينزل من الله بيان شرعي بأنه سيخلف محمداً ﷺ وأصحابه وتابعيهم أئمةٌ أربعة لا يَعْدُوهم الحق، ولم يقمْ بذلك إجماع ولا ضرورة فكر .. بل هؤلاء الأئمة الأربعة رحمهم الله اجتهدوا واختلفوا في أمور يسع فيها الاختلاف، واجتهد من هو فوقهم أو مثلهم أو دونهم ؛ فكانوا ذوي مذهب مثل الليث والأوزاعي والسفيانيين .. إلخ .

والإفادة الخامسة : من تلك المذاهب ما عُمل به في بعض الآفاق مثل مذهب الأوزاعي في الشام والأندلس، وكمذهب سفيان.. ومنها ما لم تقم به دولة تعمل به رسمياً ؛ فبقي بلا أتباع رسميين، وبقي مرجعاً للعلماء المجتهدين رحمهم الله جميعاً .

والإفادة السادسة : انتشرت المذاهب الأربعة لا لأن الحق صِرْفٌ فيها، بل لأجل الدول التي تبنَّتها رسمياً؛ فكان المذهب الحنفي أكثر أتباعاً ؛ لأنه توارثه أكثر دول الإسلام امتداداً في الزمان والمكان ـ وهما الدولة العباسية والعثمانية ـ منذ كان أبويوسف تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله رئيس القضاء؛ فكثر أتباعهم

(٢٨) بيَّنتُ كثيراً أن الأصل ـ حسب الاستقراء اللغوي الكثير، لا التقنين النحوي ـ نسبة (فعلية) إلى (فعيلي)، وأن الفَعَلي) هو الاستثناء لمسوِّغ، وليس هو القاعدة .

تلقائياً وتلقيناً وتقيُّداً باتجاه الدولة في القضاء والفتوى والتعليم ؛ فكأن التمذهب مؤهِّل علمي .. وهكذا كان مذهب الدول مالكياً في الغرب والأندلس بالله ثم بنشاط تلامذة الإمام مالك الذين حملوا علمه، وتقلدوا مناصب الديانة كيحيى ابن يحيى الليثي وأسد بن الفرات، ثم انتشر في إفريقيا بحكم الجوار، وكانت له دولة في الأحساء في عهد آل أجود العقيليين.. وكان مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله ذا دولة في العراق بعد المذهب الظاهري على يد أبي يعلى، وذا دولة في الجزيرة العربية .. ولا أدري في أي زمان أو مكان كان مذهب الإمام الشافعي مذهباً رسمياً رحمهم الله جميعاً، ولكنه منتشر مشتهر في مصر والمخلاف السليماني واليمن والحجاز وفي سوريا .

والإفادة السابعة : أن عند عوام بعض الأقطار جهالة رعناء، وهي قول بعضهم: هذا مذهب خامس !! .. يقولونها على سبيل الذم معتقدين ملقَّنين أن الصواب لا يعدوها، وأنها كلها صواب مع اختلافها !! .. وهم بهذا الجهل يذمُّون مذاهب العلماء المجتهدين كالليث والأوزاعي والحمَّادَين والسفيانيين وابن ذئب وابن مهدي .. إلخ .. ثم أبي ثور والطبري وابن نصر .. إلخ .

والإفادة الثامنة: أن في أتباع الأئمة الأربعة علماء فحولاً مفكرين قلدوهم فقهاً ولم يقلدوهم عقيدة، أو قلدوهم فيهما معاً.. وقد قَصَرُوا بطوعهم واختيارهم اجتهادهم في دائرة أقوال إمامهم، ولا إمام لهم على الحقيقة في تلقِّي علم الشريعة غير محمد ﷺ .. ومن هؤلاء من ألَّف في الجزم بأن الصواب أو أكثره في اجتهاد إمامه كالإمام أبي المعالي الجويني رحمه الله .. والحق أن تُصْرف هذه المواهب إلى الاجتهاد في نصوص الشريعة، ويكون اجتهاد الإمام مثل اجتهاد العلماء الآخرين يُنظر فيه ويُطلب الدليل .. أما العامي فيسأل العلماء، ويتحرَّى الحق عند من نصبه الإمام للفتوى، ويجتهد بوسائله في معرفة الأورع الأتقى بالإضافة إلى العلم .. ومثلُ هذا الترجيح والاتباعية غاظ الإمام أبا محمد ابن حزم حتى قال بمرارة عن بعض الأتباع: «ولو استطاعت هذه الطائفة

المستأخرة أن يدَّعُوا لصحابهم أنه تكلم في المهد ما تأخَّروا عن ذلك»[٢٩] .

والإفادة التاسعة : أن التقرب إلى الله بمحبة هؤلاء الأئمة، والترحم عليهم لا يقتضي تجريد الصواب في اجتهادهم، ولا ضرورة تقليد من استطاع الاجتهاد.

والإفادة العاشرة : أن المذهب الظاهري مذهب مستقل، وليس تابعاً لإمام بعينه، بل هو منهج فكري لغوي نصي .

والإفادة الحادية عشرة : ليس المذهب الظاهري كالمذهب الزيدي ؛ لأنه خلاف فقهي لا عقيدي، وإنما هو كمذهب أحمد بن حنبل والشافعي رحم الله الجميع .

والإفادة الثانية عشرة : يتبع المذهب الظاهري السني والأشعري ـ قبل رجوع الأشعري عن مذهبه؛ لأن الإمام أبا الحسن رحمه الله رجع عن معتقده في الصفات ـ والمعتزلي مثل غيره من المذاهب المتبوعة .

والإفادة الثالثة عشرة : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ليس ذا مذهب فقهي، ولكنه مجتهد في مذهب الإمام أحمد في دائرة أصوله، ناصر لها، وإن خالفه في بعض المسائل.. بل خالف الأئمة الأربعة وتابع الظاهرية في مسائل كمسألة عدم قضاء من ترك الصلاة عمداً .

والإفادة الرابعة عشرة : المذهب الظاهري ليس مذهباً لغوياً ؛ ولكنه مذهب نصي شرعي بمقتضى فكري لغوي .. ومعنى أنه فكري أنه يفصل بين المعرفة الشرعية والمعرفة البشرية ؛ فالمعرفة الشرعية على التوقيف والاتباع إلا ما فوَّضه الشرع إلى العقل، والمعرفة البشرية أوسع دائرة في الحرية.. وميزة الشرع أنه عبودية لله، وليس حرية للشهوات والشبهات والآراء.. والظاهر بجناحيه الفكري واللغوي موجَّه لتحرير مراد الشرع وتخليصه من الأوشاب البشرية،

---

(٢٩) الرسالة الباهرة ص٢٣ .

أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي.. عضوا عليها بالنواجذ»...

فأجلُّ ما استعمل الطالب للعلم فيه بحثه، وأتعب فيه نفسه: ما ضمن له رسول الله ﷺ عن الله تعالى : أنه لا يضل ما تمسك به .. وقد ألف علماء الإسلام في ذلك تواليف كثيرة لا تُحصى .. لكنها راجعة إلى خمسة أنواع :

الأول : من ألف في حديث رسول الله ﷺ خاصة، واشترط الصحة .

الثاني : من ألف فيه ولم يشترط صحةً من ضعفٍ، ووكل ذلك إلى اجتهاد الناظر فيه .

والثالث : من ألف في حديث رسول الله ﷺ وفقه الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار .

والرابع : من ألف كذلك، وزاد التعرض للترجيح في الأقوال والاحتجاج حسب ما ظهر له أنه الحق من غير تعرُّض منه لانتصارٍ لمذهب إمام معين .

والخامس : من ألف كذلك إلا أنه جعل الاحتجاج والترجيح بحسب الانتصار لمذهب إمامٍ معيَّنٍ من الأئمة الأربعة الذين وقف أهل العصر عند استكمال مذاهبهم ؛ فأجَلُّ الأقسام الخمسة، وأفضلها الأول بلا شك ؛ إذ هو كلام رسول الله ﷺ خالصاً لم يَشُبْه غيره .. والقسم الرابع أنفعها ؛ لأنه يجمع علوماً جمة، وتصرفاً في أفانين كثيرة .. وقد ألف الصدر الأول في هذا المقصد تواليف ليست بذلك الطول كأبي الحارث محمد بن عبدالله بن أبي ذئب القرشي، وأبي عبدالله سفيان بن سعيد الثوري، وأبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، وأبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك الخراساني، وأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي[٣١]، وأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، وأبي يعقوب إسحاق ابن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهويه .. وأكثر ما

(٣١) قال أبوعبدالرحمن: بل كان الإمام الشافعي رحمه الله من المكثرين في التأليف.

وحكم المرتدين، وحكم الزنا، والقذف، وشرب الخمر، وذكر التعزير، والجامع؛ فحُدِّثتُ أن الثقة أخبر عنه أنه : عهد إلى بنيه أن يكملوه على ما نهَجَه من كتابه الإيصال.. وكان له من الولد أبورافع الفضل، وأبوأسامة يعقوب، وأبوسليمان المصعب، وغيرهم .. وكان الفضلُ أكبرهم سناً، وأجلَّهم قَدْراً ؛ فانبرى لتكميله وتتميمه ؛ فبيَّضَ مبيضة لم يُخَلِّصها، ولا رُويت عنه بعد نظره فيها نظر تهذيبٍ وتبصر[٣٥] .. أدركته رحمه الله الوفاة، وحالت بينه وبين ما حاول من إتمام غرضه ؛ لأنه استشهد في وقعة الزلاقة .. فَمَنْ نَسَخَ كتاب المحلى[٣٦] ؛ فانتهى في نسخه إلى المسألة التي توفي الشيخ ولم يكملها، ولم يزدْ شيئاً، وقال : « ههنا أدركت الإمامَ الوفاة » : فهذه رواية أبي خالد يزيد بن العاص الأونبي الأندلسي[٣٧] .. ومنها ما انتهى بها ناسخها إلى آخر زيادة أبي رافع الفضل، وهي رواية أبي عمر كوثر بن خلف بن كوثر[٣٨]، وأبي الحسن شريح بن محمد بن شريح[٣٩] بإجازة أبي محمد لهما؛ فتأمَّلت هذه الزيادة، فوجدت فيها خللاً كثيراً؛

---

(٣٥) اي أنه لم يعد فيها نظره بتهذيب وتبصر .

(٣٦) في الأصل « فمن نسخ كتاب المجلى » .. ووردت المجلى بالجيم .

(٣٧) قال أبوعبدالرحمن : من ذرية سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبدالواحد بن عفير الأموي المترجم في بقية السفر الرابع من الذيل والتكملة للمراكشي ص١٨-١٩ ولأبيه العاص بيتان أوردهما المقري في نفح الطيب ٣/ ٥٩٤ وهو منسوب إلى أونبة قرية غرب الأندلس توفي فيها أبومحمد ابن حزم رحمه الله .

(٣٨) لم أجد له الآن ترجمة مع أنني قمَّشت عنه بعض الإفادات منذ ثلاثين عاماً في وريقاتي المشتَّتة .

(٣٩) روايته عن أبي محمد بالإجازة؛ لأنه ولد سنة ٤٥١هـ وتوفي رحمه الله سنة ٥٣٩هـ وهو آخر من روى عن أبي محمد، وهو أكثر من بث كتبه.

....

وأما ابن طاهر فهو أمير من بيت إمارة، وهو محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسن بن مصعب أبوالعباس الخزاعي، وهو أمير بغداد أيام المتوكل، أديب مشارك في العلم الشرعي، جالس الإمامَ أحمد بن حنبل رحمه الله ، وله ترجمة حفيلة في تاريخ بغداد ٥/ ٤١٨-٤٢٢، وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٩٩/١١ قول ابن طاهر في الإمام أحمد رحمه الله تعالى :

أضحى ابن حنبل محنةً مرضيَّةً ... وبحبِّ أحمد يُعرف المتنسكُ

وإذا رأيت لأحمدٍ متنقصاً ... فاعلم بأن ستورَه ستُهتَّكُ

قال **أبوعبدالرحمن** : هذه جلالة النفوذ، وأما جلالة العلم والفقه في الدين فقد قال الإمام أبومحمد في الرسالة الباهرة ص٤٧-٥٠ في معرض سياقه لأعلام الفقهاء : «وأحقهم بصفة الفقه داوودُ بن علي؛ لأنه لا يفارق السنن والإجماعَ أصلاً، ولا يقول برأيه ألبتة، ولا يقلد أحداً.. ثم أحمد بن حنبل وهو قليل الفتيا لشدة توقِّيه وتورُّعه على سعة علمه بالسنن وأقوال الصحابة والتابعين، ثم الشافعي؛ فإنه أول من انتقد الأقوال المختلطة وميَّز الفتاوى المختلفة، وميَّز السنة من غيابة الرأي، وعلم استخراج البرهان من غيضة الاستحسان، ونهى عن التعصب للمعلِّمين وعن الحمية للبدان، ودعا إلى اتِّباع صحيح الحديث عن رسول الله ﷺ حيث كان؛ فالمؤمنون إخوة، وأكرمهم عند الله أتقاهم؛ وإنما فضل المرء بنفسه.. وأشار إلى كيف يأتي القرآن مع السنن، والخاص مع العام من الآي والسنن؛ فصار له بذلك فضلٌ عظيم وسبق رفيعٌ.. واستبان بهذه المناهج التي نَهَجَ دقةُ ذهنِه، وقوة خاطره، وحدَّة فهمه وثقوبه.. ثم سلك أحمدُ رحمه الله هذه الطريق وأربى على الشافعي بكثرة استعماله للسنن الثابتة، وشدة ضبطه للروايات الصحاح.. ثم تلاهما داوود رحمه الله ؛ فأكمل تلك الفضيلة، وتمَّم تلك الحسنة، وأوضح أن القرآن وكلام رسول الله ﷺ وأفعاله وإقراره وإجماع العلماء كلهم قد استوعبت هذه الوجوه جميعَ الشرائع ونوازل الأحكام كلها أوَّلها عن آخرها، وأنه لا يشذ عنها شيء من أمور الدين أصلاً، وأن كل ما يسأل عنه السائلون فيه وجودُ حكمة فيها.. تبيان ونص لا يحتاج ولا يفتقر إلى قول أحد من الناس، وأن كل ذلك منصوص عليه باسمه، وحكمه محكَم له غير ناقص ولا محذوف البيان ، وأن الله تعالى لم يُحوج

متفقهة الحنفيين أنه قال : أبوحنيفة كان أعلم بالقضاء من محمد ﷺ .. وذكر عن الربيع أنه قال : الشافعي لا يخطئ في واو ولا ألف.. وحدثني محمد بن يحيى بن غالب : عن الخليل بن أحمد البستي: أنه قال بعض الحنبليين : أحمد بن حنبل عظمة .

قال أبومحمد رحمه الله : وهذه الأقوال شنيعة، وبعضها كفرٌ مجرد، وهو القول بأن أبا حنيفة أعلم بالقضاء من رسول الله ﷺ : وهذا كلام يغني إيراده عن تكلف الرد عليه بأكثر من أن نقول عن قائل هذا القول : عليه لعنةُ الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين؛ فما يخرج هذا الكلام من قلب مسلم .

وأما الذي ذكروا عن ابن القاسم من قوله : « كفى بقول مالك حجة » فما هذا يصح عنه ألبتة؛ لأنه ضلالة عظيمة وقول شنيع، وإذا قال الله عز وجل : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء / ١٦٥] فكيف يقول مسلم له مسكة عقل: إن قول أحد بعد النبي ﷺ حجةٌ !.. وكذلك قوله: لو رأيت مالكاً لاستعظمت مخالفته.. قال أبومحمد رحمه الله : فيا ليت شعري لو رأى هذا المخاطب مالكاً ماذا كان يرى فيه مما يستعظم مخالفته: أتراه كان يرى في يده عصا يقلبها حية، أو يراه يبرئ الأكمه والأبرص، أو يحيي الموتى، أو يراه يطعم النفر الكثير من الطعام اليسير، أو يراه ينبع الماء من بين أصابعه، أو يراه يشق القمر، أو يراه يأتي بكلام معجز؟!

هذه الأمور التي يستعظم مَن رآها مخالفة من رآها منه رؤية إنسان كسائر الناس ولا فرق: يفتي برأيه وحسب ما أدّاه إليه اجتهاده؛ فيخطئ ويصيب كما فعل كل مفتٍ سواءً سواءً.. وما أرى هذا القول يصح أيضاً عن ابن القاسم؛ فإنه قول في نهاية الغثاثة والسقوط.. ولعمري لقد رأى مالكاً سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، والأوزاعي، والليث، وابن جُريج، وابن أبي ذئب، وعبدالعزيز بن أبي سلمة.. ثم رآه أيضاً وكيع بن الجرّاح، وعبدالله بن المبارك والوليد بن مسلم، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي، والشافعي (وهؤلاء أئمة المسلمين في عصرهم) فما منهم أحد استعظم مخالفَته، بل ما استحلوا متابعته، ولا رضوا لأنفسهم تقليدَه، ولا الانتماء إلى مذهبه، ولا وقع لهم هذا

أنها أقل من خمسين سنة ؛ لأنه رحمه الله توفي سنة ست وخمسين وأربعمئة .

وأخبرني بعض حفدته وهو الفقيه أبوالعباس بن أبي رافع : أنه توفي ابن اثنتين[٧١] وسبعين سنة ؛ لأن مولده كان سنة أربع وثمانين وثلاثمئة آخر يوم من شهر رمضان .. وتوفي آخر شعبان سنة ست وخمسين وأربعمئة .. مات ابن اثنتين[٧٢] وسبعين، ووجدته قد قال في بعض رواياته : إنه قرأ بعض مصنفات الحديث سنة إحدى وأربعمئة ولم يؤلف رحمه الله إلا بعد أن استكمل قراءة كتب الحديث، واتسع في علم الظاهر؛ فما كان ذلك إلا عن تأييد من الله تبارك وتعالى رضي الله عنه.. ووجدت الوزير الفقيه أبي رافع ابنه رحمه الله قال : كتبت من خط أبي رحمه الله ـ وذكر تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه وبني عمه وأخواته وبنيه وبناته مواليدهم وتاريخ موت من مات منهم في حياته رحمه الله.. ثم قال ـ : وُلدتُ أنا علي بن أحمد بن سعيد بن حزم قبل طلوع الشمس من يوم الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمئة، وهو اليوم السابع من نوفمبر .

وتاريخ والده[٧٣] الوزير أبي عمر رحمه الله في أول يوم الإثنين سنة سبع وعشرين وثلاثمئة، ومات رحمه الله في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعمئة، وهو رحمه الله ابن أربع وسبعين سنة وأربعة أشهر أو نحوها[٧٤].. ومات الوزير الفقيه

العبارة: قول الفقيه الحاج رحمه [الله] وجمّله من غير زيادة في المعنى ولا نقصان: «فسبحان ..إلخ»؛ فتكون « المعنى » الأولى زلة قلم، وما بين القوسين سقط سهواً .

(٧١) في الأصل: اثنين .

(٧٢) في الأصل: اثنين .

(٧٣) أي تاريخ ولادة والده .

(٧٤) لا يستقيم هذا مع ما حدده من تاريخ مولده ووفاته رحمهم الله، بل يكون عمره حينئذ سبعة وسبعين عاماً .

أبوالوليد بن أبي أمية .. ذكر ابن عبدالملك أن سعد السعود ظاهري مصمم على القول بالظاهر .. ولد في منتصف ذي القعدة سنة ٥١٣هـ، وتوفي بقريته برجلانة إحدى قرى لبلة بذي القعدة سنة ٥٨٨ هـ[٨٧] .

وقال أبوطالب عقيل بن عطية القضاعي المالكي [-٦٠٨هـ]: «وهذا الرجل قد غلت فيه طائفتان :

إحداهما : تُعظِّمه تعظيماً مفرطاً ؛ بحيث تقلده في جميع أقواله، ولا ترى مخالفته في شيئ من مذهبه، وإذا ظهر لها في كلامه الخطأ البين، والوهم الصراح: لم تقبله، وأحالت بالوهم والخطإ على من يتعاطى الرد عليه[٨٨]، أو على أنفسها بالعجز عن الانتصار لذلك القول المردود عليه .

والطائفة الثانية: تزري عليه، وتحط من قدره؛ حتى تعتقد: أن لا حسنة عنده؛ فإذا ظهر لها ما في قوله من الجودة، وتَبَيَّنَ لها صحة ما ذهب إليه في أمر ما مما يتكلم عليه، أو يتمذهب به : لم تقبله أيضاً، واعتقدت فيمن يبيِّن ذلك ويتكلم فيه : أنه على مذهبه الذي ينتحله.. وقد يكون في هذه الطائفة : من لا يفهم قولـه، ولا يدري معناه، لكن يكرهه تقليداً، ويستصوب قول من يرد عليه في الجملة .. وكلتا الطائفـتين مُخطِئة فيما توهمته عليه : من الإحسان المجرد، أو من الإساءة المجردة .. بل هو واحد من العلماء، وممن يقصد الحق عند نفسه فيما يراه، ويُؤثر العدل فيما يظنه ويتحراه ؛ فتارة يخطئ، وتارة يُصيب ؛ فإذا أصاب فقوله سامق جداً، وإذا أخطأ فقوله نازل جداً؛ لأن أكثر أقواله إنما تأخذ بالطرفين، وغيره من العلماء قد يكون صوابه قريباً من خطئه .. أعني أنه إذا أصاب يكون صوابه قريبَ المرام ليس فيه ذلك الغموض، وإذا أخطأ لم يكن في

---

(٨٧) أطال المراكشي ترجمته في الذيل والتكملة / بقية السفر الرابع ص١٨-٢١ رقم ٤٤.

(٨٨) قال أبوعبدالرحمن : أي على العالِم الذي يرد عليه ابن حزم.

الوجوه لا في الموضع الذي نقله منه ـ يعني معجم ابن الأعرابي ـ ولا في غيره، وإنما غلط فيه أبومحمد ابن حزم؛ فتبعه هو في ذلك غير ناظر فيه ولا ناقل له من موضعه، وإنما أورد منه ما وقع في كتاب المحلى . ويرى ابن القطان أن عبدالحق قلّد ابن حزم في هذا الحديث .. إلا أن ابن حزم كما يغلب على ظن ابن القطان لم يجعله حديثاً ولا صححه ولا التفت إليه، وإنما أورده في كتابه على أنه أثر كما هو في الأصل لا على أنه خبر ؛ ولذلك لم يبال بإسناده ؛ فتصحف على الرواة أو النساخ، فجُعِل حديثاً عن النبي ﷺ .. قال ابن القطان : وقد عُهد أبومحمد ابن حزم يكتب الآثار في كتابه من غير التفات إلى أسانيدها؛ لأنه لا يحتج بها، وإنما يوردها مؤنساً لخصومه مما وضع من مذهب، وهو لا يستوحش بعدمها، ولأنه قد عهدهم يقبلونها كذلك، وبعضهم يراها حججاً؛ فهو يوردها لنفسه باعتبار معتقدهم فيها ولا يعتمدها .. وقد يردها على خصومه لضعفها؛ لأنهم يوردونها لا كما يوردها هو لنفسه، بل محتجين بها؛ فلذلك يسلّط لهم عليها النقد »[٩٧] .

وابن القطان يأخذ على عبدالحق أنه لم يرجع إلى مصنف حماد بن سلمة، وإنما رجع إلى نقل ابن حزم عنه في كتاب الإعراب[٩٨]، وابن القطان ينقل عن ابن حزم كثيراً : تارة يحتج بكلامه[٩٩]، وتارة يدافع عنه[١٠٠]، وتارة يتعقبه[١٠١] .. ويذكر ابن القطان أن أبامحمد عبدالحق يقلد ابن حزم في النقل

---

(٩٧) الوهم والإيهام ١/ ٦٤ .

(٩٨) الوهم والإيهام ١/ ١١٥ .

(٩٩) انظر الوهم والإيهام ٢/ ١٠٩/ ب و٢/ ٢٣٥/ ب و٢/ ٢٤٤/ ب و١/ ٢٠٢ .

(١٠٠) انظر الوهم والإيهام ٢/ ١٠٢/ ب و١٠٣/ أ و١/ ٦٠/ ب و١/ ٢١ .

(١٠١) انظر الوهم والإيهام ٢/ ١١٠/ أ و٢/ ١٥٧/ أ حول جهل ابن حزم للترمذي، و٢/ ١٦٩/ أ و٢/ ١٨١ و٢/ ١٨٦/ ب و٢/ ٢٠٩ و٢/ ٢٢٣/ ب، وهنا أحال إلى الزكاة من

اقتنيت معظمها بحمد الله .

وقال الذهبي عن كتاب ابن القطان: « طالعت كتاب ابن القطان المسمى بالوهم والإيهام الذي وضعه على الأحكام الكبرى [قال أبوعبدالرحمن : بل الوسطى] لعبدالحق يدل على حفظه وقوة فهمه، لكنه تعنت في أحوال رجال؛ فما أنصف بحيث أخذ يلين هشام بن عروة ونحوه»[١٠٩].. وقال ابن ناصرالدين: ولابن القطان فيه وهم كثير تعقبه عليه أبوعبدالله الذهبي في مصنف كبير[١١٠] .

قال أبوعبدالرحمن : ردُّ الذهبي مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ولم يتيسر لي الاطلاع عليه بعد.. والجديد في نصوص ابن القطان هذه ما يلي :

١- الإفادة باختصار ابن حزم لكتاب الساجي وكونه نبيلاً .

٢- مكاتبة الحميدي لابن حزم من بغداد .

٣- لفت النظر إلى منهج ابن حزم في الاستدلال بالحديث على أصل المخالف.

٤- أن ابن القطان اطلع على الإيصال مباشرة، وابن القطان مقارب عصره لعصر ابن خليل العبدري؛ وعلى هذا يحمل كلام ابن خليل على أنه شخصياً لم يطلع على الإيصال كاملاً لا على أنه عُدِم في وقت مبكر .

٥- نص ابن القطان هنا مع ما خبرته من إدمان المطالعة لكتب ابن حزم يدل على أن أبا محمد في بداية أمره فرَّغ نفسه لتمحيص أسانيد الأحاديث بكتابه الخصال وشرحه الإيصال؛ حيث اعتمد على المصنفات الهائلة التي أحصيتها في تخريجي لفهرسة ابن حزم، ثم بعد ذلك اعتمد على الإيصال اعتماداً نهائياً في

(١٠٩) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٧ .

(١١٠) الأعلام الزركلي ٥/ ١٥٢ .

مثلما تثبت الحقائق في الذهن وفي خارج لها مستقر

وابن حزم لم يرضَ بهذا المعنى[١١٦] بل قال :

لئن أصبحت مرتحلاً بجسمي فقلبي عندكم أبداً مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم[١١٧] »

وقال : « وقد أوردت في ترجمة الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس ما أنشدنيه بسنده إلى الحافظ أبي محمد ابن حزم وهي أبيات أولها:

من عذيري من أناس جهلوا ثم ظنوا أنهم أهل النظر

قال الحميدي أنشدته قول أبي نواس :

عرِّضنْ للذي تحب بحبٍّ ثم دعه يروضه إبليس

فقال :

أبن وجه قول الحق في نفس سامع ودعه فنور الحق يسري ويشرق

سيؤنسه رفقاً فينسى نفاره كما نسي القيد الموثق مطلق[١١٨]»

وقال الصفدي: «أنشدني والدي أبوعمرو محمد قال : أنشدني والدي أبوبكر محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس رحمهما الله تعالى

---

(١١٦) قال **أبوعبدالرحمن** : يعني أن أبا محمد رحمه الله لم يسقط ضرورة المعاينة بالبصر، ويتعلَّل بأن العين تفقد من تهوى .

(١١٧) الغيث المسجم ٢/ ٣٢٧، وقد ذكر الصفدي طوق الحمامة لابن حزم في الغيث المسجم ١/ ٤٣٠ .

(١١٨) قال **أبوعبدالرحمن** : سمى أبومحمد بهذا المعنى؛ فلم يرض رياضة إبليس للحبيب، بل أحال ذلك إلى الطبع؛ بأن الحب يستألفه فينسى الهروب من الحب، ويقيِّده الحبُّ كما نسي القيد مطلق .

قال: أنشدني الحافظ أبوالعباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي قال : أنشدني أبوالوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال: أنشدني الحافظ أبوالعباس أحمد ابن عبدالملك أنشدنا أبوأسامة يعقوب قال: أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبومحمد ابن حزم لنفسه :

من عذيري من أناس جهلوا	ثم ظنوا أنهم أهل النظر
ركبوا الرأي عناداً فسروا	في ظلام تاه فيه من غبر
وطريق الرشد نهج مهيع	مثلما أبصرت في الأفق القمر
وهو الإجماع والنص الذي	ليس إلا في كتاب أو أثر[١١٩]

قال **أبوعبدالرحمن:** البيتان: « تجنب صديقاً مثلما .. إلخ » نسبهما ابن سعيد لأبي عمرو ابن حزم النحوي[١٢٠] وهو أحمد بن محمد المذحجي .. وأبومحمد ابن حزم الفارسي جده من أمه، وإسناد الصفدي ـ إن لم يكن فيه سقط ولا تصحيف ـ يدل على أن الأبيات لأبي عبدالله محمد بن علي، ويدل على أن لأبي محمد ولداً اسمه محمد وكنيته أبوعبدالله .. على أن هذا الإسناد يحتاج مني مستقبلاً إن شاء الله زيادة تمحيص .

والقصيدة العينية التي ذكر منها الصفدي بيتاً لم أجد أحداً أشار إليها قبله، والبيتان : « إن كنت كاذبة الذي .. إلخ » ليسا لأبي محمد ابن حزم، وقد ذكرهما محمد أمين بن فضل الله المحبي [١٠٦١-١١١١هـ]؛ فقال: عن عبدالحفيظ عبدالله المهدوي (ـ ١٠٧٧هـ): «وله في الأدب مرتبة عَلِيَّة؛ وأشعاره بمثابة علمه واضحة جلية ؛ فمما بلغني من شعره ـ وقد أنشد بعضهم

---

(١١٩) الوافي ١/ ٣١١ .

(١٢٠) رايات المبرزين ص٧٤ .

ونقض عُراه؛ اتباعاً لهواه .. ويقول : إن جميع ما يأتي به ويصنفه من اللغو الذي يجب الإعراض عنه والهجر الذي يجب أن لا يسمع عنه .. وهو يذكر من مؤلفات ابن حزم : (الفصل) و(الإحكام) و(التوقيف على شارع النجاة)، و(كتاب القواعد) على مذهبه و(المرطار) [كذا] .. ومما شنع فيه على ابن حزم تشنيعاً شديداً ما ذكره في (الفِصَل) من إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم مما لا يحتمل التأويل، وهي الناحية التي أشاد الدارسون قديماً وحديثاً بعبقرية ابن حزم فيها، وسبقه إليها .. وشنع كذلك تشنيعاً فظيعاً بالبرنامج الرائع الذي قدمه ابن حزم لتعليم الأطفال في كل من (مراتب العلوم) و(التوقيف على شارع النجاة) الداعي إلى الجمع في الدراسة بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية والرياضية والأدبية .. ومما شنع فيه على ابن حزم تشنيعاً كبيراً قوله بكروية الأرض(١٢٨) غير ذلك مما لا يتسع المجال الآن لإيراد شيء منه هنا .

وتوجد من هذا الكتاب بقايا أوراق لا أول لها ولا آخر، ولا صلة بينها في مكتبة القرويين بفاس أوقفني عليها محافظها الزميل الأستاذ العابد الفاسي، واستطعت التعرف إلى حقيقتها بعد دراسة طويلة .

قال أبوعبدالرحمن : هذا نموذج ممن ذكرهم ابن خليل العبدري فيما سلف من كلامه، وأبوالأصبغ من مقلّدة المالكية، وله كتاب عن النوازل صورته من المغرب وهو مجرد نقول، ثم قام الدكتور المحامي رشيد النعيمي بتحقيقه .

وحسبك من جهل هذا المدَّعي للفقه أنه ينكر على ابن حزم سبقه فيما أيده

---

(١٢٨) قال أبوعبدالرحمن : هذا التشنيع على حق ظاهر من النصوص قال به السلف أكبر برهان على جهل هذا المؤلف، وأنه من « الخشارة » التي ذكرها أبومحمد كما مر في التعليقة رقم (١٢٥) .

العلم الحديث من كروية الأرض، وحسبك من جهله أنه يستخف بكتاب ابن حزم في الملل والنحل وهو أحد كتب قلائل يفخر بها التراث العربي والإسلامي في هذه العصر .

وكتاب المرطار في اللهو والدعابة من تأليف ابن حزم أول من ذكره أبوالأصبغ، وقد رأيت نصوصاً كثيرة منقولة عن ابن حزم في الجذوة كلها من باب اللهو والدعابة .

وقال علي بن محمد بن علي الرعيني من أعيان القرن السابع: « أخبرني [يعني أبا الحسين محمد بن زرقون] قراءة عليه وسماعاً من لفظه قال : حدثني الحافظ أبوبكر الجد قال : حدثني أبوالحسن بن الأخضر قال : حدثني أبوالحجاج الأعلم : أنه لقي ابن حزم، فقال له مكان التحية : يا أستاذ: هل تجمع العرب فاعلاً على فعلان؟ .. قال : فقلت له : نعم.. وأخذت أورد له أمثلة على جهة البيان .. فطفق يركض دابته غير مصيخ للجواب وهو يقول : أرحتني من سبحان .. أرحتني من سبحان ! .

قلت : وقد ذكر نحو هذا عنه القاضي أبوالأصبغ بن سهل في كتابه الذي سماه بالتنبيه على شذوذ ابن حزم، وقال : إن الأديب أبابكر محمد بن أغلب المرسي حدثه : أن الأعلم ذكر ذلك في نحو ما تقدم.. إلا أنه قال : إن ابن حزم قال له عندما أجابه عن سؤاله : فما يمنع أن يكون سبحان جمع سابح ؟.. قال الأعلم : فعجبت من جهله اهـ»(١٢٩) .. وذكر عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور العبدري : أنه قرأ على المحدث أبي العباس أحمد بن سلمة الأنصاري كتاب حجة الوداع لابن حزم(١٣٠)، وذكر أنه قرأ على أبي الحسين محمد بن القاضي

(١٢٩) الإيراد ص٣٣-٣٤ .

(١٣٠) الإيراد ص١٧٢ .

أبي عبدالله محمد بن سعيد بن زرقون كثيراً من تأليفه الكبير الذي سماه (المعلى في الرد على المحلى والمجلى)[١٣١] .

قال **أبوعبدالرحمن** : ابن زرقون ولد سنة ٥٣٩هـ وتوفي سنة ٦٢١هـ، وقد ذكر ابن الأبار أنه متعصب للمذهب المالكي، وشيخه في هذه الرواية أبوبكر محمد بن عبدالله بن يحيى بن فرج بن الجد سمع أبا الحسن بن الأخضر وبحث عليه سيبويه وأخذ عنه اللغات .. توفي سنة ٥٨٦هـ، وأبوالحسن بن الأخضر هو علي بن عبدالرحمن بن مهدي التنوخي من أهل إشبيلية توفي سنة ٥١٤هـ، وأبوالحجاج الأعلم هو يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي ولد سنة ٤١٠هـ وتوفي سنة ٤٧٦هـ بإشبيلية وقد كان رحل إلى قرطبة سنة ٤٣٣هـ وأقام بها مدة.. ولعل هذا الخبر بهذا الإسناد مما ساقه ابن زرقون في كتابه المعلى الذي رد به على المحلى لأبي محمد ابن حزم، وعندي يقين بأن هذا الخبر متحل مكذوب لعدة اعتبارات :

أولها : أن موردي الخبر خصمان لابن حزم متعصبان عليه، وأبوالأصبغ الذي كفَّر ابنَ حزم وفسَّقَه لا آمن أن يكذب عليه .

وثانيها : ربما صحَّ الخبر عن الأعلم إلا أنه نحويٌّ أديب، وهؤلاء غير رجال الشريعة.. ربما ملَّحوا مجالسهم ببعض الكذبات تباهياً بالعلم، وافتخاراً بلقاء ابن حزم وتجهيله .. وعلى أي حال فليس الأدباء كالعلماء في الثقة .

وثالثها : أن الخبر متناقض يكذِّب بعضه بعضاً؛ فرواية أبي الأصبغ أن ابن حزم قال للأعلم عندما أجابه عن سؤاله : فما يمنع أن يكون سبحان جمع سابح؟.. وفي رواية ابن زرقون : فطفق يركض دابته غير مصيخ للجواب وهو يقول : أرحتني من سبحان ! .. فأي هاتين الكذبتين نصدق؟! .

---

(١٣١) الإيراد ص٣٢ .

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي [ـ ٧٤٨ هـ] : « قال اليسع بن حزم الغافقي ـ وذكر أبا محمد فقال ـ : « أما محفوظه فبَحْرٌ عَجاج وماء ثجاج .. يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بثجاجه ألفاف النعم في رياض الهمم .. لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى على كل أهل دين، وألف الملل والنحل، وكان في صباه يلبس الحرير ولا يرضى من المكانة إلا بالسرير[١٤٠] .. أنشد المعتمد فأجاد، وقصد بلنسية وبها المظفر أحد الأطواد .. وحدثني عمر بن واجب قال : بينما نحن عند أبي ببلنسية وهو يدرس المذهب إذا[١٤١] بأبي محمد ابن حزم يسمعنا ويتعجب، ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه جووب فيها فاعترض في ذلك، فقال له بعض الحضار : هذا العلم ليس من منتحلاتك .. فقام وقعد، ودخل منزله فعكف، ووكف منه وابل فما كف، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها : أنا أتبع الحق وأجتهد، ولا أتقيد بمذهب »[١٤٢] .

قال أبوعبدالرحمن: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ولد سنة ٦٧٣هـ المحدِّث المؤرِّخ المشهور الثقة وله عناية بالإمام أبي محمد، وقد اختصر المحلى وسماه (المستحلى) .

واليسع بن حزم الذي نقل عنه الذهبي ترجمة أبي محمد مؤرخ غير موثوق به مجازف في أقواله كما ذكر ذلك الذهبي في كتابه: ميزان الاعتدال، وفي ترجمة اليسع : أن أبا محمد أنشد المعتمد .. والظاهر أن هذا تحريف ؛ لأنه ليس في

---

(١٤٠) في طبعة سعيد : السرير .

(١٤١) في طبعة سعيد : إذ .

(١٤٢) سير أعلام النبلاء .

بمسائله؛ فولي القضاء بها ؛ فأخذت عنه مسائله لأجل قضائه ورياسته، واشتهر أمره واشتهرت مسائل مالك بالأندلس ؛ لدخول عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى وغيرهم من رؤساء الأندلس وقضاتها ؛ فاشتهر عنهم أخذها والتمذهب بها، وإنما كان ذلك لرياستهم فترك الناس السنن واتبعوه .

وذكر الباجي أنه اجتمع مع ابن حزم بميورقة، وكانت بينهما مطالبات واحتجاجات آل أمرها على ما قال إلى إبطال مذهبه، وذكر أن أخاه إبراهيم بن خلف الباجي لقي ابن حزم يوماً فقال له : ما قرأتَ على أخيك ؟ .. فقال له(١٤٧) كثيراً أقرأ عليه .. فقال : ألا أختصر لك العلم فيقرئك ما تنتفع به في الزمن القريب في سنة أو أقل؟ .. فقال له : لو صح هذا الفعل؟ .. فقال : غير ينفعك بذلك في سنة؟ .. فقال : أنا أحب ذلك .. فقال له: أو في شهر.. فقال ذلك أشهى إلي .. فقال : أو في جمعة أو دفعة .. فقال : هذا أشهى إلي من كل شيء .. فقال له : إذا وردت عليك مسألة فاعرضها على الكتاب ؛ فإن وجدتها فيه وإلا فاعرضها على السنة، فإن وجدت ذلك فيها وإلا فاعرضها على مسائل الإجماع، فإن وجدتها وإلا فالأصل الإباحة فافعلها .

قلت له : ما أرشدتني إليه يفتقر إلى عمر طويل وعلم جليل ؛ لأنه يفتقر لمعرفة الكتاب ومعرفة ناسخه ومنسوخه ومؤوّله وظاهره ومنصوصه ومطلقه وعمومه إلى غير ذلك من أحكامه، ويفتقر أيضاً إلى حفظ الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها ومسندها ومرسلها ومعضلها وتأويله وتاريخ المتقدم والمتأخر منها إلى غير ذلك، ويفتقر إلى معرفة مسائل الإجماع وتتبعها في جميع أقطار الإسلام وقلَّ من يحيط بهذا .. قال الباجي : وبالجملة فإن الرجل ليس معه قوة علم، ولا تضلُّع في الاحتجاج، ولكن إلمامه بالأمور الفارغة

---

(١٤٧) في الأصل المطبوع : لي .

ومُبْتدي[١٤٨] الطلبة ؛ فإذا سئل عن مسألة يقول لمن حضره أو السائل : ما قلتَ أنت فيها، وما ظهر لك ؟ .. ولا يزال يستميل حتى ينطق فيها بشيء من رأيه ؛ فيجوِّد فعله ويستحسن رأيه ويقول : قولك فيها خير من قول مالك، ويُزيِّن له ذلك، ويشككه في نفسه حتى يصير يرى رأي نفسه ويتعاظم، ويقع في مالك وغيره من العلماء.. وقد سلطتُ عليه في شيء كثير؛ فخمل أمره، واستجهله أهل الفروع بالأندلس، ولم يزل في خمول وعدم اعتناء في مذهبه[١٤٩] .

وكثر أهل الشورى والفقه والوثائق بالأندلس حتى خرج الموحدون وأخذوا مراكش من لمتونة حاضرة ملكهم؛ فوجدوا فيها كتب فقه كثيرة فاستصعبوها وباعوها من الشواشين[١٥٠] وغيرهم، وتقدموا إلى الفقهاء الفرعيين، ولما أن اطمأنت بالأمير عبدالمؤمن الدار جمع الفقهاء ـ: إما لاختبار مذهبهم، أو[١٥١] حملهم على مذهب ابن حزم ـ ؛ فحكي عن أبي عبدالله ابن زرقون جامع الاستذكار والمنتقى .. قال : كنت فيمن جمعهم ؛ فقام على رأسه كاتبه ووزيره أبوجعفر ابن عطية ؛ فخطب خطبة مختصرة، ثم رد رأسه إلى الفقهاء، وقال لهم :

---

(١٤٨) قال **أبوعبدالرحمن** : هذا أسلوب أعجمي غير مفهوم !.

(١٤٩) قال **أبوعبدالرحمن** : إن صح هذا الكلام فهو كلام الباجي في خصمه.. وأبوالوليد الباجي رحمه الله على جلالته في حفظ مسائل الفروع والأصول على مذهب المالكية لا يسبح في بحر أبي محمد ابن حزم رحمه الله.. وأخذه رحمه الله برواية مختصرة تمسك بها على أن الرسول ﷺ كتب يوم الحديبية دليل على عدم تمكنه في الحديث، وأنه إذا أراد أن يجتهد خارج المذهب ضاع.. وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ ، وأهل العلم درجات رحم الله جميعهم .

(١٥٠) لم أجد لها معنى يليق بالسياق لا من تاج العروس ، ولا من تكملة المعاجم للدوزي إلا إن كان المراد أبناء الإماء والمماليك ؛ فهذا معنى للشواشين كما في تكملة المعاجم.

(١٥١) الصواب وإما ، وانظر التعليقة (٥٨) .

بلغ سيدنا أن قوماً من أولي العلم تركوا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وصاروا يحكمون بين الناس ويُفتون بهذه الفروع والمسائل التي لا أصل لها في الشرع ـ أو كلاماً هذا معناه ـ ، وقد أمر أن من فعل ذلك بعد هذا اليوم ونظر في شيء من الفروع والمسائل عوقب العقاب الشديد وفعل به كذا وكذا .. وسكت، ورفع الأمير عبدالمؤمن رأسه إليه، وأشار عليه بالجلوس، فجلس، وقال سمعتم ما قال؟ .. فقال له الطلبة: نعم.. قال: وسمعنا أن عند القوم تأليفاً من هذه الفروع يسمونه الكتاب (يعني المدونة)، وأنهم إذا قال لهم قائل مسألة من السنة ولم تكن فيه أو مخالفة له قالوا : ما هي في الكتاب، أو ما هو مذهب الكتاب.. وليس ثم كتاب يرجع إليه إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.. قال: وأرعد وأبرق في التخويف والتحذير من النظر في هذه الكتب والفقهاء سكوت، ثم قال : ومن العجب أنهم يقولون أقوالاً برأيهم وليست من الشرع ـ أو قال : من الدين ـ ؛ فيقولون : من طرأ عليه خلل في صلاته يعيد في الوقت.. فيتحكمون في دين الله تعالى؛ لأنها إما صحيحة فلا إعادة أو[١٥٢] باطلة فيعيد أبداً؛ فيا ليت شعري من أين أخذوه ؟ .. فصمت القوم ولم يجبه أحد لحدة الأمر والإنكار .

قال ابن زرقون : فحملتني الغيرة[١٥٣] على أن تكلمت وتلطفت في الكلام لهم، وأن الله تعالى أحيا بهم الحق وأهله، وأمات الباطل وأهله، وذكر نحو هذا المنحى.. وقلت : إن أذن لي في الجواب تكلمت وأديتُ نصيحتي وهي السنة ؛

---

(١٥٢) الصواب: وإما ، وانظر التعليقة رقم (٥٨) .. والخلل إن كان يُجبر بالسهو جُبر، وإن كان يجبره السهو فالإعادة واجبة قبل خروج الوقت .

(١٥٣) قال أبوعبدالرحمن : الكلام كلام خصم ابن حزم، وشاهده من نفسه !!.. وهذه القصة التي لا يحتمل نقل مثلها ينبغي أن يكون لها مصدر غير ابن زرقون.

﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [سورة النساء/ ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم].

ولما تبيَّن بما ذكرنا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فيه؛ فوجدناه يوجب طاعة رسول الله ﷺ فيما أمر به، ووجدناه تعالى يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [سورة النجم/ ٣]؛ فصح لنا بهذا أن الوحي ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: متلو، مؤلف، معجز النظام، لا تصح الصلاة إلا بقراءة شيء منه؛ قد تلقاه الكافة عن مثلهم إلى رسول الله ﷺ.. وهو القرآن.

والثاني: وحي مروي منقول عنه مؤلف تأليفاً [غير][٥] معجز النظام ولا متلوٌّ[٦] في الصلاة لكنه مقروء، وطاعته كطاعة القسم الأول واجبة [ولا فرق كما قال تعالى][٧]: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النساء/٥٩] وكان القسم الثاني الذي هو الأخبار [ثاني][٨] الأصول الثلاثة التي ألزمنا طاعتها في الآية الجامعة لجميع شرائع الإسلام[٩] أولها عن آخرها، وهي قولـه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾؛ فهذا أصل، و ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾؛ فهذا ثان، ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾؛ فهذا ثالث، وهو الإجماع؛ فقد صحَّ لنا بنص القرآن أن الأخبار

---

(٥) قال أبوعبدالرحمن: ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق، وهو نص الإمام أبي محمد في الإحكام ١/ ٩٧ / دار الآفاق الجديدة.

(٦) في الأصول: مَتلُوّاً

(٧) ما بين المعقوفين محو في صورة الأصل، وما أثبتُه بين المعقوفين اجتهاد واستئناس بما ورد في الإحكام ١/ ٩٧.

(٨) ما بين المعقوفتين محو في صورة الأصل، وأثبته اجتهاداً، واستئناساً بالسياق وبما ورد في الإحكام ١/ ٩٧.

(٩) في صورة الأصل «البيان» وما أثبته هو الصحيح، وفي الإحكام ١/ ٩٧: لجميع الشرائع.

وهذا النَّصُّ عندنا في صدر الرسالة، لكن التسمية غريبة جداً، ولم أرَ من ذكر لابن حزم رسالة أو كتاباً بهذا الاسم؛ فلعلَّ الإمام الذهبي رحمه الله وقف على الرسالة ولم يعرف اسمها فاجتهد في استخراج اسمها من قول ابن حزم في صدرها: « والذي ذكرتم من وجوب الإرشاد للمسترشد، ولزوم البيان لمن سأل » فنَعَم !.. ومن هذا ، ومما تقدم يتضح للقارئ الكريم أن نسبة هذه الرسالة لابن حزم رحمه الله نسبة أكيدة لا شكَّ فيها.. خاصة أن كثيراً من مسائله العلمية تتّفق مع ما ذكره في كتبه المشهورة كالمحلى بالآثار وغيره .

وهذه الرسالة غير ما ذكر الذهبي[٢٢] لابن حزم باسم « التلخيص والتخليص في المسائل النظرية»، وذكره ياقوت الحموي[٢٣]، والمقري[٢٤]؛ وزادا: «.. وفروعها التي لا نصَّ عليها في الكتاب والحديث » .. وهذا يوضِّح موضوع الكتاب ، فهو في المسائل النظرية، ورسالتنا في المسائل العملية »[٢٥] .

قال أبوعبدالرحمن : وعن الظاهرية أُقرِّر أنها قسمان : ظاهر نصي، وظاهر عقلي .. وإنما الظاهر النصي في الكلام المركب، وهو ما ثبت بيقين أو رجحان أنه مراد المتكلم سواء أكان الخطاب بحقيقة الوضع اللغوي، أم كان بسعة المجاز اللغوي أو الأدبي .. وليس الظاهر ما يتبادر للمتسامح من كونه خلاف الجلي الواضح، بل الظاهر ما دل عليه الخطاب بوجوه الدلالة المعروفة في كلام العرب سواء أكان المدلول جلياً واضحاً، أم كان خفياً لا يظهر إلا باستنباط واجتهاد .. وغير الظاهر ما لا تدل عليه اللغة في خطاب المتكلم كجعل شرب اللبن رضاعاً.. والظاهر العقلي ليس هو كل احتمال يتصوره العقل، بل هو ما لا يحتمل العقل

(٢٢) في « سير أعلام النبلاء » ١٨/ ٩٩، و « تذكرة الحُفَّاظ » ٣/ ١٠١٦ [عبدالحق].

(٢٣) في « معجم الأدباء » ١٢/ ٢٣٥ [عبدالحق] .

(٢٤) في « نفح الطيب » ٢/ ٧٧ [عبدالحق].

(٢٥) التلخيص لوجوه التخليص [مقدمة عبدالحق] ص٦٢-٦٣.

غيره.. والإمام ابن حزم رحمه الله له خلاف للظاهر شنيع في الصفات وغيرها، وذلك من الخطإ في التطبيق لا في التأصيل مثل عدم إمضائه حكم الظهار إلا بتكرار المظاهرة التفاتاً إلى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [سورة المجادلة / ٣]، فالآية عن العود إلى ما ظاهَرَ منه .. أي العودة إلى الجماع، وليست الآية عن إعادة ما قال من الظهار[٢٦] ؛ لأن الله سبحانه لم يقل : «حتى يُعيدوا ما قالوا»؛ فهذا فهم من أبي محمد لمدلول الآية على أنه الظاهر، وليس هذا الظاهر ؛ فذلك خطأ منه في التطبيق وليس خطأ في التأصيل الجبار الموجبِ الأخذ بالظاهر .. ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [سورة الإسراء / ٢٣] حمَلَه على المعنى الحقيقي الذي هو حكاية للصوت الخارج من الفم[٢٧]، والظاهر حقيقة

---

(٢٦) قال أبومحمد في المحلى ١١/ ١٢٢ – دار إحياء التراث العربي ببيروت : « ومن قال ـ من حر، أو عبد ـ لامرأته، أو لأمته التي يحل له وطؤها : (أنت عليَّ كظهر أمي) أو قال لها : (أنت مني بظهر أمي، أو كظهر أمي، أو مثل ظهر أمي) : فلا شيء عليه، ولا يحرم بذلك وطؤها عليه حتى يكون القول بذلك مرة أخرى ».. وقال ص١٢٤ : « لا يكون العود للقول إلا بتكريره .. لا يعقل في اللغة غير هذا » .

قال **أبوعبدالرحمن** : العود للشيء الذي قالوه، وليس إعادةً لقولٍ قالوه .

(٢٧) قال أبومحمد في الإحكام ٧/ ٥٧ : « لو لم يرد غير هذه اللفظة لما كان فيها تحريم ضربهما ولا قتلهما، ولما كان فيها إلا تحريم قول «أف» فقط .. ولكن لما قال الله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ اقتضت هذه الألفاظ من الإحسان » .. إلخ كلامه .

وقال رحمه الله تعالى : « ومن البرهان الضروري على أن نهيَ الله تعالى عن أن يقول المرء لوالديه « أف » ليس نهياً عن الضرب ولا عن القتل ولا عما عدا الأف : أن من حدَّث عن إنسان قَتَلَ آخر أو ضربه حتى كسر أضلاعه وقذفه بالحدود ويصق في

وموجزه : أن الشرع لا يُعرف إلا بلغة العرب التي نزل بها الشرع، وما صح نقله من مرادٍ لرسول الله ﷺ عُرف بغير اللغة من إيمائه وسكوته ؛ فيُؤخذ بالاصطلاح الشرعي إن وُجد، فإن لم يوجد أُخذ بالمعنى المجازي الغالب الاستعمال، فإن لم يوجد أخذ بالمعنى الحقيقي الوضعي .. هذا إذا تجرد الخطاب من قرائن ودلالات سياق وإحالة إلى معهود شرعي بنصٍّ آخر .. وأن مراد الشرع هو ما يتيقنه العقل أو يرجحه عند تعدُّد الاحتمالات .

والإفادة الخامسة عشرة : المذهب الظاهري اتِّباعٌ لرجحان الفكر بواسطة الخطاب الشرعي .. ومعنى هذا أنه ليس مذهب إمام بعينه كالشافعي أو مالك.

والإفادة السادسة عشرة : بناءً على ما سبق فثم فرق بين الظاهر والظاهرية؛ فالظاهر اتباع للنص بمنهج فكري في نظريتَيْ المعرفة، والظاهرية اتباع لإمام أخَذ بالظاهر وربما أخطأ في التطبيق كالأخذ بالحرفية والغفلة عن معقول النص ومعهوده .. قال الإمام أبومحمد ابن حزم رحمه الله تعالى عن الإمام داود بن علي الظاهري بعد الثناء على علمه واجتهاده : « لكن له بالتنبيه على ما ذكرنا منزلة رفيعة، ومحلة عالية؛ ويستحق بذلك التقدم في الفقه، وليس ذلك بموجب تقليده ؛ لما ذكرنا من أنه لم يُعصم من الخطإ بعد رسول الله ﷺ أحدٌ من الناس، ولا يحل أن يُقلَّد من يخطئ وإن أصاب في كثير»[٣٠] .. وكلام أبي محمد رحمه الله في مثل هذا كثير .

والإفادة السابعة عشرة : المذهب الظاهري هو الأصل، وهو مذهب الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قبل وجود المذاهب، ولا يزال هو المذهب لأهل السنة والجماعة في العقائد؛ ولهذا ألَّف السمنودي كتابه « سعادة الدارين في الرد على الظاهرية ومقلدتهم من الوهابية » ؛ فاعتبر مذهب أهل السنة

(٣٠) الرسالة الباهرة ص٥٠ .

والجماعة الذي قال به الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تابعاً للقول بالظاهر.. بل وُجد من الصحابة رضي الله عنهم من تمسك بالحرفية كما في صلاة العصر في بني قريظة .

والإفادة الثامنة عشرة : لما وُجدت المذاهب وتحزّبت تجرّد لإحياء الأصل من الأخذ بالظاهر الإمام داوود بن علي وهو معاصر للإمام أحمد رحمهما الله، وما زال المذهب في عزٍّ حتى كان هو المذهب الرسمي للدولة في خراسان والعراق؛ فلما ضعفت دولته آخر القرن الرابع بزغ نجمه في الأندلس على يد منذر بن سعيد وابن مفلت ثم الإمام أبي محمد ابن حزم الذي بقيت جملة من مؤلفاته، ثم كانت له دولة في القرن السادس وما بعده بالأندلس .. وفي فقه الظاهرية أخطاءٌ شنيعة، ولكن مذهب الأخذ بالظاهر منها بُرَاءٌ .

والإفادة التاسعة عشرة : الإضافة إلى المذهب نسبة لا كُنْية .. إنما الكنية بأبي فلان وأم فلان .

والإفادة العشرون : في القديم يُنسب الفقيه إلى مذهبه من قِبَلِ غيره، ومن قبل نفسه؛ ليتميز للطلاب والمناصب وكتب التراجم؛ لأن المذاهب مؤهّلات علمية .

والإفادة الحادية والعشرون ـ وهي مسك الختام ـ : الانتساب للظاهر بالذات مظهر فخر واعتزاز أعظم من الإضافة إلى القبيلة ؛ لأنه اتباعية مجتهد وفق منهج فكري معرفي يملكه، وليس تقوقعاً في مذهب إمام بعينه، والله المستعان .

قال أبوعبدالرحمن : ولقد أعفى المحقق الفاضل كتابه من تعريفٍ بالإمام ابن حزم طلباً للاختصار، ولكنني أضيف نصوصاً نفيسة مليحة غفل عنها مترجمو ابن حزم، وأضيف نصوصاً حفل بها المترجمون له ولم يحفلوا بمحاكمتها ؛ فمن الأول قول ابن خليل العبدري رحمه الله في تكملته للمحلى : « وغير خافٍ عن ذي تعلّقٍ يسير بنصوص الأحاديث أن رسول الله ﷺ قال : « **تركت فيكم**

تجد كلام هؤلاء في كتب المؤلفين بعدهم حاشا الإمام مالك والشافعي رحمهما الله، وقد يوجد لغيرهما لكنه قليل بالنسبة إليهما رضوان الله عليهم أجمعين .. ثم أتى بعد هؤلاء قوم آخرون ؛ فأطالوا التواليف ؛ لِما شحنوا فيها من الأدلة بالآي والسنن ؛ إذ الفقه مستخرج عنهما .. وبسطوا من الاحتجاج والترجيح كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي عبدالله محمد بن نصر المروزي، وأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وأبي بكر محمد بن المنذر النيسابوري، وأبي سليمان داوود بن علي بن خلف الأصبهاني، وابنه أبي بكر محمد بن داوود، وأبي الحسن عبدالله بن أحمد بن المغلس، وأبي محمد قاسم بن محمد الأندلسي المعروف بصاحب الوثائق، وأبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي، وأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الفارسي[٣٢] .. وهو أكثر من ذكرنا استيفاء لأقوال المخالف، وبسطاً لأدلتهم ؛ لأنه رحمه الله أتى بعد حدوث الفتن، وما ابتلي به بعض الناس من المحن في نصرة من لا يغني عنه من الله شيئاً، ونسأل الله العافية.. وأحسن كتبه كتاب الإيصال إلا أنه عُدِم اليوم عُدْماً لا يتأتى وجوده كاملاً أبداً، وبعده كتاب المحلى في شرح كتاب المجلى أيضاً، وكلاهما[٣٣] موجود كثير غير أنه أدركته رحمه الله الوفاة وقد انتهى فيه إلى أول كتاب الدماء والديات والقصاص[٣٤]، ولم يشرح منه إلا ست مسائل وبعض المسألة السابعة، وبقي عليه : تتميم المسألة المذكورة، وبقية كتاب الدماء، والديات، والقصاص والقسامة، وقتال أهل البغي، وحكم المحاربين، وحد السرقة، وجحد العاريَة،

---

(٣٢) قال أبوعبدالرحمن : فوق هؤلاء كلهم في هذا الجانب الإمام الحافظ أبوعمر ابن عبدالبر، ولم يذكره .

(٣٣) أي المجلى والمحلى .

(٣٤) وردت « والقصاص » مكررة في الأصل .

وذلك أن الإمام أبا محمد رتَّب كتاب المحلى على كتاب المجلى ؛ فيقول : كتاب كذا.. مسألة كذا.. وينقل من المجلى مذهبه في تلك المسألة كما هو في آخر كلامه فيها، ثم يقول : برهان ذلك .. إلى آخر البرهان من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو النظر الراجع إلى ذلك عنده .. فإن كانت المسألة لا يعرف فيها خلافاً فقد تمت، ويذكر المسألة التي تليها.. وإن كان فيها خلاف ذكره، وذكر استدلال المخالف واعتراضه، ورجَّح بحسب ما ظهر له، ويذكر من قال بقوله من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار [رضي الله عنهم] .. ثم مرَّ في ترتيب المحلى كذلك لا يخالف ترتيب المجلى ؛ لأنه شرحه حتى انتهى إلى حيث قُدِّر له .. والذي صنعه أبورافع الفضل في هذه الزيادة : أنه أخذ أبواباً على ترتيب الإيصال؛ فكمل بها المحلى، ولم يتعرض إلى المجلى، ولا نقل منه كلمةً واحدة .. وليته لما نقل من الإيصال ما نقل اعتمد عليه ولم يحذف منه إلا التكرار(٤٠) والتطويل؛ بل حذف مسائل كثيرة ؛ فينقل منه باباً ويترك منه باباً .. وربما كان الذي يحذفه أكثر فائدة فيما هو بسبيله من الذي يثبته، والضرورة لما يحذفه أشد.. وربما طال عليه الباب الذي ينقل منه ؛ فيقطع من فصوله ما فائدة الباب فيه .. وربما أثبت في الباب كلاماً لبعض الناس وحذف الرد عليه، أو أثبت الرد عليه وحذف أصل الكلام، وقد يثبت في بعض المسائل أقوال الناس ويحذف القولة

(٤٠) في الأصل : « التكرار »، وعدلت في الهامش بكلمة التكرير.. قال شيخنا أحمد يوسف القادري : «كرَّر فعَّل مصدره، القياسي تكريراً وتكراراً بفتح التاء، وهو مصدر.. وبكسر التاء وهو اسم؛ إذن تكريراً وتكراراً من كرَّر الشيء » .. قال أبوعبدالرحمن : المراد في السياق الاسم لما تكرَّر؛ فالتكرير أليق وإن كانت التكرار صحيحة.. والتكرار بفتح التاء وكسرها كلاهما للمبالغة، وليست بفتح التاء مصدراً، بل هي تعمل عمل المصدر، وقد حققتُ في غير هذا الموضع أن مصدر الفعل واحد لا غير، وما زاد على ذلك فقد عدَّه النحاة مصدراً لنيابته عنه في العمل .

التي اعتمد عليها أبوه .. إلى غير ذلك من الإخلال الكثير الذي لا ينبغي معه لتلك الزيادة أن تثبت، ولا أن تعد شيئاً مغنياً بالنسبة إلى مراد المصنف .. ولما ألفيت الزيادة هكذا، ووقع إليَّ من كتاب الإيصال جملة كثيرة فيها موضع الحاجة : رأيت أن أكمله على ترتيبه ووضعه إن شاء الله تعالى ؛ حتى إذا رآه القارئ الناقد لم يرَ فرقاً بينه وبين ما ابتدأ به أبومحمد إلا فيما قدمته في ذكر الإسناد فقط ؛ وذلك أني أذكر المسألة التي وقف فيها الإمام أبومحمد؛ فأتم منها ما غادره، ثم أرجع إلى كتاب المجلى فأنقل المسألة التي تليها، وأذكر البرهان عليها منقولاً من كتاب الإيصال سواءً .. أنقله على ما هو عليه، ثم أنقل مسألة مسألة كذلك من كتاب المجلى لا أتعدى ترتيبه، وأذكر البرهان عليه من الإيصال حيث وقع، ثم أذكر الخلاف فيها إن وُجد، والاحتجاج والاعتراض والترجيح حتى كأنه هو الذي تمّمه »[٤١] .

وقال ابن خليل أيضاً : « والإمام أبومحمد قد تكلم فيه أقوام من الجهال، ونسبوه إلى أشياء هم أحق بها، والله حسيبهم ومسائلهم عليها، وقد أربى بعض المتأخرين في سوء الثناء[٤٢] عليه حتى نسب إلى معتقده سوءاً [٤٣] هو بما نسبه إلى أبي محمد رحمة الله عليه أليق .. وربما كذبوا عليه في أشياء نسبوها إليه إفكاً وزوراً[٤٤]، ثم إنهم لعنوه عليها إفكاً منهم وغروراً وبهتاناً ومحض تقوُّلٍ ولا

---

(٤١) قال أبوعبدالرحمن : نص ابن خليل هذا من مقدمة المورد الأحلى .

(٤٢) قال أبوعبدالرحمن : الثناء يكون بالخير والشر .. ومن هؤلاء المتأخرين الذين يشملهم ما ذكره ابن خليل : القاضي ابن العربي، وعيسى بن سهل ..، وهؤلاء يَردُّون بوجهة نظر أشعرية .

(٤٣) قال أبوعبدالرحمن : نعم له أخطاء في المعتقد عن اجتهاد لم يوفق فيه .

(٤٤) كما في رده على العتقي، وكما في رسالته الرد على الهاتف من بعد، وكما في الأكاذيب التي نقلها ابن زرقون.



حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. وقد أثنى عليه جلة[٤٥] من أهل الفضل والخير والدين من علماء المشرق والمغرب، وليس هذا موضع البسط لأقوالهم .. وبالجملة فإنه إذا تأمل العاقل النبيه السالم الفطرة من التعصب والهوى حال الإمام أبي محمد رحمه الله، وتأمل أقوال الناس فيه : وجدهم على قسمين : إما جاهل مفرط الجهل يسبه ولا يدري ما كان عليه من الشدة في الدين، والمحافظة على اتباع السنن، والحض على ذلك ؛ فهو يسبه ولا يدري ما يلزمه في دينه من ثلب امرئ مسلم من أكابر أهل العلم قد لحق بربه.. وإما رجل رقيق الحياء، قليل الدين.. ينال منه تعصباً لأهل مذهبه أو غير ذلك ؛ لينال من دنياه ما أحب .. قد باع[٤٦] آخرته بدنيا قد ضمنت له ما أصابه منها لم يكن ليخطئه .. قد رضي على ما عند الله تعالى بعاجل زخرف هذا المتاع الفاني .. باع[٤٧] لذلك آخرته بدنيا قد ضمنت له ما أصابه منها لم يكن ليخطئه، وما أخطأه منها لم يكن ليصيبه .. قد اعتاض عما عند الله تعالى بأن يقال عنه : إنه ناصر لمذهب كذا، مصمم عليه.. وهو يدري أن ما ناله من أبي محمد رحمة الله عليه لا يجوز عقلاً ولا شرعاً إن كان مصدقاً بالشرع.. إنا لله وإنا إليه راجعون »[٤٨].

وقال ابن خليل : « إن أكثر من أثنى على أبي محمد رحمه الله، وخذه[٤٩] في شيء: فهو أنه أطلق لسانه وقلمه على قوم من المتعصبين بالثلب والسبِّ والنيل منهم .. وكأنهم رأوا أن هذا خطأ، وأنه أتى ما لا يجوز فعله، وَعيبَ عليه ذلك

---

(٤٥) قال في تاج العروس ١٤/١١٣: « قوم جِلّة بالكسر : عظماء سادة خيار ذوو أخطار.. قال الصاغاني: جمع جليل مثل صبيٍّ وصِبْيَةٍ » .

(٤٦) في الأصل: «أباع» والفعل متعد بلا همزة.. وهذه العبارات من كلام أبي محمد نفسه رحمه الله في بعض كتبه.

(٤٧) في الأصل « أباع » .

(٤٨) من مقدمة المورد الأحلى .

(٤٩) هكذا في الأصل، والصواب : وآخذه .

في تواليفه .. فأقول : إنه ليس خطأ، بل هو قربة إلى الله تعالى، وجهاد فيه، وزين للتأليف.. وبيان ذلك بخلاف[50] لما وقع بين السلف الصالح رضي الله عنهم.. لم يقدح بسببه بعضهم في بعض، ولا عادى به أحد أحداً ؛ بل قد يوجد بين الرجلين منهم الصحبة المؤكدة والخلاف في مسايل كثيرة؛ لأنهم لا يراعون[51] في ذلك إلا وجه الله تعالى، ثم خلف من بعدهم خلف جعلوا طلب العلم سبباً لنيل دنياهم، ومرقاة يبلغون بها من الترؤس مناهم ؛ فتعصّب قوم لقوم عَمَلُ الدولةِ في ذلك العصر بقولهم[52] (إمّا وفاقاً لمن تقدم، أو استحساناً منهم لذلك)؛ فبالغ هؤلاء في التعصب لأقوالهم .. وليت شعري لو لم يكن الأمر كذلك ما الذي أوجب اندثار مذهب الأوزاعي وكان الناس عليه برهة من الدهر، واشتهر حتى بلغ الأندلس .. وكذلك سفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه، والليث بن سعد .. سيما[53] والشافعي رحمه الله يقول : كان الليث إماماً أضاعه أصحابه.. إلى غيرهم ممن لهم في العلم والإمامة منصب مثلهم[54] ممن قال بفتاواهم أهلُ عصر ثم لم يقم أهل الدول مثلهم[55] ؛ فتركت

---

(٥٠) هكذا في الأصل، والكلمة قلقة في السياق، ولعل الصواب « بالخلاف » وتكون « لمّا » بفتح اللام وتشديد الميم.

(٥١) في الأصل: فللا يراعون .

(٥٢) لم أضع النقطتين فوق بعض (:)؛ لأن ما بعد ذلك ليس مقول القول ، وكان ينبغي وضعهما؛ لما بعدهما من تفريع، ولكنني تركتها خوفاً من اللبس بأن بعدهما مقول القول، واستعضت عن ذلك بالقوسين.

(٥٣) قال أبوعبدالرحمن : الأفصح « ولا سيما » .

(٥٤) في الأصل : كهم .. والإصلاح من الهامش .

(٥٥) أي لم تقم بالأخذ بمذاهبهم، وفي الأصل « بعد »، ثم وضع مكانها في الهامش «مثلهم» وفوق الميم « خ » .

لذلك[٥٦].. وقد كان الإمام داود بن علي بن خلف الأصبهاني مدة من الزمن لم يبرز لإلقاء العلم ظاهراً، ثم انبرى له الموفق العباسي حامياً ؛ فجلس لتدريس العلم ما شاء الله أن يجلس حتى أخذ بقوله جماعة من العلماء، وتفقه عليه أمم.. قد ذكر هذا الإمام جمال الدين أبوإسحاق إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي رحمه الله من الفقهاء[٥٧] .. إلى غير ذلك مما ذكره عنه أهل الأثر ؛ فإنه معلوم

---

(٥٦) أي ترك الناس التمذهب لهم ، وبقيت مذاهب من أخذت الدول بأقوالهم؛ فكانت هي المذهب الرسمي للدولة؛ وقد أطال الإمام أبومحمد ابن حزم في بيان ذلك في الرسالة الباهرة، وفي الإحكام .

(٥٧) قال **أبوعبدالرحمن** : تكلم الإمام أبومحمد ابن حزم عن جلالة النفوذ بالجاه والسلطة ـ وهما بخلاف جلالة العلم ـ ؛ فقال في الرسالة الباهرة ص٢٨-٢٩: « وكذلك كان محمد بن عبدالله بن طاهر، وإسماعيل بن إسحاق أمير بغداد وقاضيها [الأول الأمير، والثاني القاضي] في بعض أيام داوود [يعني داوود بن علي الظاهري] أجلُّ في الدنيا من داوود؛ لأن أمرهما كان عليه نافذاً قبل أن يحميه الموفق من إسماعيل؛ إذ وقع بينهما ما قد عرف.

قال أبومحمد رحمه الله : وهذه جلالة ليست فضيلة » .

قال **أبوعبدالرحمن**: هذه جلالة سلطة ونفوذ، وكان إسماعيل رحمه الله متعصباً لمذهب مالك، وتسلَّط على عدد من العلماء لا بقوة حجته بل بقوة سلطانه، ومن هؤلاء الإمام داوود كما ذكر ذلك القاضي عياض رحمه الله في ترتيب المدارك ٢/ ١٧٩، فإنه أخرج داوودَ من بغداد إلى البصرة؛ لعدم قوله بالقياس البشري في دين الله.. والموفق الذي حماه من أنبل خلفاء بني العباس المتأخرين، وهو أبوأحمد الموفق طلحة (أو محمد) ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد.. قال الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٩: « فكان الموفق بيده العقد والحل لا يبرم أمر دونه، وكان من أعلاهم رتبة، وأنبلهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأوفرهم هيبة، وأجودهم كفّاً ـ وكان محبوباً إلى الرعية.. ولا سيما لما استوصل الخبيث طاغوت الزنج على يديه؛ فإنه لم يزل يحاربه حتى ظفر به؛ ولذا لقبه الناسُ الناصرَ لدين الله » .

بينهم، ثم بعدُ لم يقم أحد من أهل الدول بمذهبه؛ فكانت سبيله كسبيل من ذكرنا ممن قدمنا من ذوي المذاهب ومنصب الاجتهاد في الفتوى في الشريعة ؛ فكان ذلك التعصب قبيحاً : إما شرعاً، أو[٥٨] عقلاً .. وربما وضع بعضهم الحديث على رسول الله ﷺ نصرة لقوله في مذهبه[٥٩]؛ فليتبوأ (في جانب مبالغته في

مع القرآن والسنة والإجماع إلى تكلف قياس ولا تعسُّف رأي ولا حكم بظن ولا إحداث لشرع.. ثم أتبع هذه الجملة تفصيلها ووفَّى وعده في تفسيرها، وبيَّن ذلك بياناً كافياً؛ فكانت له بذلك درجة موفورة، وذخيرة [من] الله عزَّ وجلَّ [خصَّه] بها، وذخرها له.. لحق بها المتقدمين، وأربى على المتأخرين، وأحيا ما دثر من أعمال الصحابة والتابعين لهم رضي الله عنهم أجمعين في اتباع السنن والقرآن فقط، وأبان فساد الخبط في الدين من الأخذ [بما] في مسألة من القرآن وترك ما فيها من صحيح الحديث.. وفي أختها بصحيح الحديث وترك ما فيها من القرآن، وفي أختها بتقليد قائل وترك ما فيها من القرآن والسنة، وفي أختهن بقياس وترك ما فيها من قرآن وحديث وقول قائل، وفي أختهن بما استحسنه المفتي وترك ما فيها نص أو قياس أو قول سلف؛ فاقتنى الأجرَ في أهل الحق والإنصاف، وأقام الحق على الشذوذ والخلاف، وحوى بذلك خُصَلَ الجواد إذا استولى على الأمد، وحصل على قصب السبق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. وإن كان قد أخطأ في كثير من فتاويه، فالعصمة من الخطإ ليست لأحد من الناس بعد رسول الله ﷺ » .

(٥٨) الدلالة إما على التفصيل وما في حكمه من تفريع تخييرٍ أو إباحةٍ أو شك صار الأسلوب العربي المبين تكريرها؛ لأنها عِدْلُ ما قبلها، ولهذا لا تقوم « أو » مقامها، وإن دلَّت على بعض هذه المعاني؛ لأنه لا يُبتدأ بها تفصيل الكلام فتحتاج إلى تكرير بخلاف « إما ».. وإن بعد هذا المعنى عن الذهن فموجز القول. إنه لا يصح في اللغة سوى تكرير إما .

(٥٩) قال الإمام أبومحمد ابن حزم في الرسالة الباهرة ص١٨-١٩: « ورُوي عن بعض

تعصبه لنصرة قول من لم يُغْن عنه من الله شيئاً) مقعده من النار.. وأول من يلعنه على ذلك كله مَن نصر أقواله، ويبرأ منه يوم القيامة.. وربما يكون في بعض المواضع ردة عن الإسلام، ونعوذ بالله من الخذلان؛ وذلك أنهم يعترضون على كتاب الله تعالى، وعلى الصحيح عندهم من سنن رسول الله ﷺ بما رُوَا عليه من أنواع الاعتراضات ؛ فيحرفون الكلم عن مواضعه قصداً، ويمزقون كتاب الله تعالى تمزيقاً بارداً، ويتحكمون فيه تحكماً فاسداً، ويعرضونهما على كلام صاحبهم(٦٠)؛ فما وافقه منها أخذوا به، وما لم يوافقه منها نبذوه بالعراء، وقابلوا بالرد والتحريف والحمد لله »(٦١) .

وقال ابن خليل أيضاً : وأما تخطئته من خطَّأ من السلف الصالح رضي الله عنهم : فليست التخطئة نيلاً منهم، ولا يعدُّها نيلاً منهم إلا جاهل أحمق؛ وذلك

الأمر المجهول الذي يحكونه عن ابن القاسم، ولعلهم كذبوا عليه ... إلخ » .. انظر الرسالة الباهرة إلى نهاية ص٢٤، وقال ص٢٤-٢٥ عن الإمام مالك رحمه الله : « وقد ذكروا أنه المراد بعالم المدينة في الحديث المروي من طريق أبي الزبير (هو مالك) ، وهذا تقوُّل منهم على رسول الله ﷺ بغير علم، ومَن قطع على مراده ﷺ فقد كذب عليه؛ فليتبوأ مقعده من النار.. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [سورة الإسراء/ ٣٦] .. وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النجم/ ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور/ ١٥] ؛ فمن قطع بأنَّ عالِمَ المدينة المذكور في ذلك الحديث لو صح هو مالك بن أنس فقد قفا ما لا علمَ له به، وقال ما ليس به علمٌ ، واتبع الظن.. والظنُّ أكذب الحديث. وقال على رسول الله ﷺ بظنه فصار كاذباً عليه.. نعوذ بالله من الضلال » .

(٦٠) كلمة « صاحبهم » إضافة من الهامش .

(٦١) عن مقدمة المورد الأحلى .

أنه قد علمنا قطعاً أن كل أحد يخطئ ويصيب إلا أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم أجمعين.. وإذا قال قائل عمن أخطأ في شيء (وهو ممن يجوز عليه الخطأ): «قد أخطأ» فهذا إخبار بحق وصدق، ولو قال غير ذلك لكان كاذباً.. والمصانعة والمداهنة في الحق لم يرضَ بها السلف، ولا كل مصمم في الدين ، ولا يموت بها الحق أبداً، ولم يأمر بها الله تعالى ولا رسوله ﷺ[٦٢] .

وقال ابن خليل : « قال الإمام أبومحمد رحمهما الله : ولسنا نرضى عمن يغضب لنا .. إنما نرضى عمن يغضب للحق، ولا نُسَرُّ بمن ينصر أقوالنا .. إنما نسر بمن ينصر الحق حيث هو .. ولا يجهل علينا جاهل فيظن أننا متبعون مذهب الإمام أبي سليمان داوود بن علي .. إنما[٦٣] أبوسليمان شيخ من شيوخنا، ومعلم من معلمينا[٦٤] .. إن أصاب الحق فنحن معه اتباعاً للحق، وإن أخطأ اعتذرنا له، واتبعنا الحق حيث فهمناه، وبالله تعالى التوفيق.. قال محمد بن خليل : وكذلك أقول : لا يجهل عليَّ جاهل فيظن أني متبع للإمام أبي محمد .. أبو محمد شيخ من شيوخي، ومعلم من معلميَّ : إن أصاب الحق فأنا معه اتباعاً للحق، وإن لا فأنا مع الحق حيث فهمته بحسب ما يوفقني الله تعالى له وينعم به علي »[٦٥] .

قال **أبوعبدالرحمن** : وهكذا يقول أبوعبدالرحمن؛ لأن الظاهر ابتغاء مدلول شرعي وليس اقتراحاً بشريّاً، فالتمذهب للأصول التي يعرف بها مراد الله يقيناً لا رجحاناً؛ فيكون الظاهر ما أظهره البرهان، فالتمذهب لمسؤولية العلم والفكر لا للأشخاص .

---

(٦٢) عن مقدمة المورد الأحلى

(٦٣) زيادة من هامش الأصل .

(٦٤) في الأصل : معلمي .. والإصلاح من هامش الأصل .

(٦٥) عن مقدمة المورد الأحلى .

ومن تلك النصوص تعليقةُ ابن حزم الحفيد، وقد وجدتها بآخر كتاب الإحكام في الجزء الثاني المخطوط بمكتبة ابن يوسف بمراكش، وهذا نصها: «انتسخته من نسخة كتبت من خط الفقيه أبي محمد علي بن الوزير أبي رافع بن الوزير الفقيه الإمام الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم مؤلفه رحمه الله.. تاريخها شهر[٦٦] سنة ثلاث وخمسمائة.. قال أبوخالد يزيد بن العاصي بن سعيد بن سعود[٦٧] وجدت بخط الفقيه الحاج أبي أسامة رحمه الله يقول: أخبرني الفقيه الإمام الحاج الطرشي[٦٨] رحمه [الله].. قال: جلست أنا والفقيه أبوسليمان أخوك رحمه الله على تواليف الشيخ أبيك رحمه الله كلها مع المختصين من أصحابه، وأحصينا المدة التي يمكن نسخ جميعها لناسخ تكون صناعته[٦٩] لا يفتر عن النسخ إلا في وقت وضوء وصلاة وأخذ غذاء وما أشبه ذلك؛ فوجدنا مدة ذلك ثمانين سنة بعد التقصّي لذلك والاجتهاد أيضاً للنساخ على ما تقدم من القول مع اجتهاده، وكذلك بعد أن يكون من أهل الصناعة مشهوراً .. قال يزيد بن سعود بعد قول الفقيه الحاج رحمه [الله]، وجَمّله[٧٠]: فسبحان من أيّده بمعونته على النسخ والتأليف في مدةٍ أغلبُ ظني

---

(٦٦) في الأصل علامة لَحِق إلى الهامش الأيمن، ولم يدون اللحق.

(٦٧) بعد هذا علامة لحق في الأصل إلى أعلى، ولم يدون اللحق، والمؤكد أن اللحق إثبات محذوف هو «سعد»؛ لتكون العبارة: سعد السعود.

(٦٨) هكذا في الأصل، والراجح ـ كما سيأتي ـ أنه الطرطوشي رحمه الله، وما بين المعقوفين ضرورة سياق.

(٦٩) هكذا في الأصل، والعبارة غير تامة، أو لعلها إحالة إلى ضرورة فهم السياق، والمعنى: تكون المدة صناعته في النسخ.

(٧٠) هكذا في الأصل، والعبارة غير تامة.. ولعل الصحة: أن سعد السعود علق على كلام الطرطوشي؛ فقال ـ بلا زيادة ولا نقصان ـ: «فسبحان ..إلخ» .. وعلى هذا تكون

ابنه رحمه الله ابن اثنتين وسبعين سنة غير شهر، وهو علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد (هذا هو أخو معاوية بن أبي سفيان.. ويزيد هذا هو المعروف بيزيد الخير ؛ فيزيد هذا هو مولى يزيد الفارسي جد الوزير.. ورأيت في شعر الوزير أن يزيد الفارسي جده[٧٥] كان من ولد متوجِّهة ملك فارس، وهذا قد ذُكر في ترجمته رحمه الله) ابن أبي سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن مناف .. والداخل منهم هو خلف.. ترك[٧٦] بقريتين بمنت ليشم ومتيلش من إقليم أونبة بكورة لبلة، وكان من جند حمص.. وَلَدَ خلف صالحاً، وأسود .. فبنو أسود في نزالة جدهم متيلش لم يرحلوا عنها، وبنو صالح بمنت ليشم ومنهم بنو حزم المذكور، وبالله تعالى التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم» .

قال **أبوعبدالرحمن** : يلي هذا النص مباشرة نص قصيدة ابن حزم الدالية في أصول الفقه.. رواها أبوالوليد سعد السعود أحمد بن عفير.. قال : أنشدنيها الفتح .. إلخ .. قال **أبوعبدالرحمن** : وقد أوردت هذه القصيدة محققة في المجلد الثاني من كتابي الذخيرة من المصنفات الصغيرة، وصاحب النص هذا هو

(٧٥) وذلك هو قوله رحمه الله تعالى :

سما بـيَ ساسانٌ ودارا وبعدهم ... قريشُ العُلى أعياصها والعنابسُ

فما أخّرتْ حربٌ مراتبَ سؤددي ... ولا قعدت بي عن ذُرى المجد فارسُ

(٧٦) لعل « ترك » رمزاً اختصاري بمعنى خَلّف عقباً بالقريتين .

أبومحمد علي بن الوزير أبي رافع الفضل بن الوزير أبي محمد علي بن الوزير أحمد بن سعيد ابن حزم ؛ فالإمام أبومحمد ابن حزم هو جده مباشرة .. ترجم له ابن الأبار؛ فقال : « يكنى أبا محمد .. روى عن أبيه : عن أبي رافع.. روى عنه ابنه أبوعمر أحمد بن علي.. أفادنيه بعض أصحابنا»[٧٧]، وإنما رأيته يقول في ترجمته لابنه أبي عمر أحمد ابن علي : روى عن أبيه، ولأبيه علي رواية عن أبيه أبي رافع الفضل، وهو مذكور في بابه[٧٨] .. وقال ابن عبدالملك : علي بن الفضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي أبومحمد روى عن أبيه أبي رافع، وروى عن أبي عمر أحمد بن علي .. قال **أبوعبدالرحمن** : أبوعمر هذا هو ابنه كما نص على ذلك ابن الأبار، ولكن وجد بهامش إحدى نسخ كتاب ابن عبدالملك : إنه علي بن الفضل بن الحكم المرواني القرطبي أبوالحسن المعاهد.. أخذ عنه ابن مسدي، وتوفي سنة ٦٣٠هـ أو في حدودها رحمه الله[٧٩] .

قال **أبوعبدالرحمن** : هذا وهم من المهمِّش لسببين :

أولهما : أن الذي ذكره ابن عبدالملك يكنى أبا عمر، وهو ابنه كما قال ابن الأبار، وأما الذي وُجد بهامش إحدى نسخ كتاب ابن عبدالملك فكنيته أبوالحسن.

وثانيهما: أن أبا الحسن هذا توفي عام ٦٣٠؛ وإذن فلم يدرك أبا محمد علي بن الفضل .

ولم اجد ذكراً لأبي خالد يزيد بن العاصي بن سعيد بن سعود، وإنما وجدت شعراً أورده المقَّري لأبي يزيد بن العاصي من المروانيين[٨٠]، وأبوخالد يزيد بن

---

(٧٧) التكملة لكتاب الصلة ٣/ ١٨٠ رقم ٤٢٨.

(٧٨) التكملة ١/ ٥١ رقم ١٥٢.

(٧٩) الذيل والتكملة القسم الأول من السفر الخامس ص٢٦٣ .

(٨٠) انظر نفح الطيب ٣/ ٥٩٤ .

العاصي من المروانيين؛ لأن جده سعد السعود منهم، فهو سعد السعود بن أحمد ابن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبدالواحد بن عفير الأموي[٨١] .

والحاج أبوبكر الطرشي هكذا ورد رسمه بالمخطوط ؛ فكان من المحتمل أنه مصحّف عن (البطروشي) وهو أحمد بن عبدالرحمن .. أخذ كتب ابن حزم عن ابنه أبي رافع أسامة بن علي ابن حزم الظاهري[٨٢] إلا أن هذا كنيته أبوجعفر وذاك كنيته أبوبكر، ومن المحتمل - وهو الأرجح - أن يكون مصحّفاً عن (الطرطوشي)، وهو أبوبكر محمد بن الوليد الفهري (ابن أبي رندقة).. ولد سنة ٤٥١هـ، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ، ومات سنة ٥٢٠هـ .. قال المقَّري عن الطرطوشي : إنه قرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم بمدينة أشبيلية[٨٣] .

قال أبوعبدالرحمن : هذا بعيد ؛ لأن عُمُر الطرطوشي يوم مات ابن حزم أقل من ست سنين، ثم إن أبا محمد قضى السنوات الأخيرة من حياته ببلد أجداده وليس بإشبيلية .

وأبوالعباس بن أبي رافع هو الفتح بن أبي رافع الفضل بن الإمام أبي محمد بن حزم .. روى عن عمه أبي سليمان مصعب بن أبي محمد [٨٤]، وأبو سليمان بن أبي محمد هو المصعب بن علي بن أبي محمد ابن أحمد بن حزم .. قال ابن الأبار: سمع من والده، ومن أبي مروان الطبني في شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٧هـ وأبي

---

(٨١) انظر : الذيل والتكملة / بقية السفر الرابع ص٨-١٩.

(٨٢) انظر: معجم البلدان ١/ ٤٤٧.

(٨٣) نفح الطيب ٢/ ٨٨، وأزهار الرياض ../ ١٦٢ .

(٨٤) التكملة لابن الأبّار ٤/ ٥٩ رقم ١٦٠، والذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة للمراكشي / السفر الخامس/ القسم الثاني ص٥٢٩ / رقم ١٠١٨.

الحسن بن سيده.. حدث عنه بمختصر العين للزُبيدي، وكان على سنن سلفه من طلب العلم وحمله.. حدث عنه ابن أخيه أبوالعباس الفتح بن أبي رافع الفضل، وأبوالحسن بن الخضر.. وغلط ابن الدباغ في اسمه فجعله داود، وإنما هو المصعب .. قرأت اسمه وكنيته بخط أبي الأصبغ السماني المقرئ رحمه الله، ويحدث الفتح المذكور عنه بكتاب المناسك من تأليف أبيه(٨٥).. وأبوأسامة بن أبي محمد هو يعقوب بن علي بن أبي محمد بن أحمد ابن حزم.. قال ابن بشكوال: « من أهل قرطبة يكنى أبا أسامة .. روى عن أبيه، وعن أبي عمر ابن عبدالبر إجازة، وحج وأدّى الفريضة، وكان من أهل النباهة والاستقامة من بيت علم وجلالة، ذاكرني به أبوجعفر الفقيه، وقال لي : وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسمئة، ومولده سنة أربعين وأربعمئة(٨٦) .

قال **أبوعبدالرحمن** : وفي هذا النص (الذي نقلته من آخر نسخة الجزء الثاني من الإحكام) زيادة فائدة جديدة عن مؤلَّفٍ أو ضميمة كتبها أبومحمد عن (تواريخ أعمامه، وأبيه، وأخيه، وبني عمه، وأخواته، وبنيه، وبناته : مواليدهم، وتاريخ موت من مات منهم في حياته).. وفي هذا النص إفادة جديدة بأن يزيد ابن أبي سفيان هو مولى يزيد الفارسي جد ابن حزم [رضي الله عنهم]، وفي هذا النص إفادة جديدة عن يزيد الفارسي، وأنه من ولد متوجهة ملك فارس، وأنه هو الداخل منهم إلى الأندلس، وأنه من جند حمص، وأن من ذريته بني أسود في متيلش، وأن بني صالح بمنت ليشم .. وسعد السعود الأموي ذكرت سلسلة نسبه.. يُعرف بأبي الوليد بن عفير اللبلي.. من بنيه القاضي أبوأمية، ومن حفدته

(٨٥) التكملة ٢/ ١٨٧-١٨٨ رقم ٤٩٢.

(٨٦) الصلة في تاريخ الأندلس ومعلميهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ٢/ ٦٥١ رقم ١٥٢٢.

ذلك الخطأ شذوذ ولا كبير تعسُّف .. وهذا الذي قلناه هو الإنصاف في جانب أبي محمد ابن حزم رحمه الله ، والاعتدال الذي ينبغي أن يُعتقد فيه ؛ فإنا إنما ذكرنا الواجب في حقه ـ كان له، أو عليه ـ اهـ[٨٩] .

وقال أبوطالب عن « منذر بن سعيد » : « وهو رجل ظاهري مثل ابن حزم إلا أنه دونه في الشذوذ »[٩٠] .

ويرى أبوطالب : أن رده على الحميدي رد على ابن حزم أصلاً، ورد على الحميدي بالتبع ؛ لأن ابن حزم من أهل النظر في الجملة، وأما الحميدي : فإنما هو من أصحاب الحديث، وإن كان من أهل التحذق فيهم[٩١] .

وقال أبوطالب : « أما بعد : فإن أحد الطلبة رعاهم الله عرض عليَّ كتاباً صنَّفَه أبوعبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي رحمه الله في الموازنة يوم القيامة، وتقسيم أهلها، وترتيب الجزاء من الثواب والعقاب عليها.. وكان هذا الطالب المشار إليه معجباً بذلك الكتاب، ومستحسناً لأغراضه ومولعاً بتقسيمه، وزاده كَلَفاً به كون أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم رحمه الله قد رواه عن مؤلفه .. كذلك ذكر أبومحمد في برنامجه، وذلك أنه قال : « كتاب جمعه صاحبنا أبوعبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي في مراتب الجزاء يوم القيامة على ما جاءت به نصوص القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ.. دقَّق فيه وقرطس ما شاء.. أخذته عنه لإحسانه فيه وجودة نظره في تقسيمه .. يكون بضع عشرة ورقة صغاراً » .

قال أبوعبدالرحمن : لقد استخلصتُ من كتاب أبي طالب (تحرير المقال)

---

(٨٩) تحرير المقال ورقة ٢٥/ب-٢٦/أ .

(٩٠) تحرير المقال ورقة ٢٦/ب .

(٩١) تحرير المقال الورقة ٣/ب .

كتاب (مراتب الجزاء يوم القيامة) لأبي عبدالله الحميدي، وطبعته في بيروت، ثم أعدت نشره بالجزء الثاني من كتابي الذخيرة .. ونصوص أبي طالب هنا نادرة، وقد ذكر من مؤلفات ابن حزم كتابه البرنامج، ونقل نصاً منه، وفي هذا الكتاب ردٌّ لأبي طالب على أبي محمد في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [سورة الانشقاق/ ٧] .. الآية، وقد فرغت من تحقيقه بحمد الله .

ومراتب الجزاء للحميدي رواه عنه شيخه ابن حزم في برنامجه، وأثنى عليه .. بيد أن الحميدي نفسه نص على أنه استفاد فكرة الكتاب من شيخه أبي محمد؛ لأنها جرت في مجلسه ونبَّه عليها[٩٢] .

قال **أبوعبدالرحمن** : لعل ما نبَّه عليه أبومحمد في مجلسه هو إملاؤه لكتابه (مراتب أهل الحقائق في دار القرار) وهو ثلاث ورقات كتبها الحميدي من تقرير شيخه؛ فكانت أصلاً لكتابه مراتب الجزاء، وقد صورها الأستاذ محمد تاويت الطنجي من إحدى مكتبات تركيا، وهي مدرجة في رسالة التلخيص هذه.. وللمقارنة بين مراتب أهل الحقائق لابن حزم ومراتب الجزاء للحميدي نجد أبا طالب يقول عن نصوص لابن حزم في الفصل: « ولكن الحميدي زاد عليها بالتتبع لها بإضافة ما يشاكلها حتى استحقها على ابن حزم »[٩٣] .

قال **أبوعبدالرحمن** : مراتب أهل الحقائق برمته موجود في التلخيص لوجوه التخليص وهو دون تفريع الحميدي .

ومن تلك النصوص قول ابن القطان : « أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الحافظ الفقيه على مذهب أهل الظاهر.. برع في الفقه والحديث والتاريخ والآداب، وهو من بيت وزارة، ووزر بنفسه لبعض ملوك الأندلس، ثم تخلَّى

---

(٩٢) مراتب الجزاء ص١٩ .

(٩٣) مراتب الجزاء يوم القيامة للحميدي ص١٠ بتحقيقي .

لطلب العلم والانفراد به، ومولده آخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ومات سنة ست وخمسين وأربع مئة »[٩٤] .. ثم ذكر جملة من المصادر التي لم يرجع إليها عبدالحق الإشبيلي مباشرة، وإنما روى عنها من طريق نقول ابن حزم .

وقال ابن القطان عن حديث رواه عكرمة بن خالد : « فاعلم أنه حديث لا علة فيه، وقد غلط في تضعيفه ابن حزم، وكان له عذر، وتبعه أبومحمد عبدالحق بغير عذر » .. قال **أبوعبدالرحمن** : وعذر ابن حزم فيه هو أن له اعتناء بكتاب أبي يحيى الساجي حتى أنه اختصره ورتبه على الحروف وشاع اختصاره المذكور لنبله، وكان في كتاب الساجي تخليط لم يأبه له ابن حزم حين الاختصار؛ فجرَّ لغيره الخطأ[٩٥] .

وذكر ابن القطان حديثاً رواه داود بن عبدالله الأودي، ثم ذكر رد أبي بكر بن مفوز على أبي محمد ابن حزم في ذلك ثم قال : « وقد كتب الحميدي إلى ابن حزم من العراق يخبره بصحة هذا الحديث، وبين له أمر هذا الرجل؛ فلا أدري أرجع عن قولـه أم لا؟ »[٩٦] .

وذكر ابن القطان حديثاً رواه أبومحمد عبدالحق الإشبيلي في كتابه الأحكام الكبرى؛ إذ قال : أخبرني القرشي قال: أخبرنا ابن حزم .. إلخ .

قال عبدالحق : هذا الحديث أرويه متصلاً إلى زينب بنت جابر الأحمسية: عن رسول الله ﷺ، وذكره أبومحمد في كتاب المحلى .

وتعقبه ابن القطان بقولـه : « إن هذا الحديث لا يوجد مرفوعاً بوجه من

---

(٩٤) الوهم والإيهام ٢/ ٢٤٢/أ.

(٩٥) الوهم والإيهام ٢/ ١٩٦/أ.

(٩٦) الوهم والإيهام ٢/ ٧٦.

والتجريح[١٠٢] .. وذكر متون أحاديث أوردها ابن حزم في المحلى بسند واحد وعلق بقوله : «وأظن ابن حزم لما كان ذلك كله بإسناد واحد لَفَّقَهُ تشنيعاً على الخصوم الآخذين ببعض ما رُوي بهذا الإسناد التاركين لبعضه[١٠٣] .. وقال في معرض رده على عبدالحق : وما درى أن أبا محمد ابن حزم لا يقبل حديث من لا يُعرف سواء ادعى لنفسه الثقة أو الصحبة ما لم يخبرنا تابعي بثقته وصحبته؛ فحينئذٍ يقبل نقله[١٠٤] .. وقد نسب هذا المذهب في موضع آخر لبعض أهل الظاهر وأيده[١٠٥] .. وأحال إلى المحلى والإعراب والإيصال، وذكر نص عبدالحق على أنه لم يطلع على الإيصال، ثم قال : « إن كل حديث أورده ابن حزم في كتاب من كتبه فقد فرغ منه في الإيصال بسنده »[١٠٦]، وأحال إلى كتاب ابن حزم الإعراب[١٠٧]، وذكر رواية عبدالحق لكتاب حجة الوداع لابن حزم إجازة عن شريح[١٠٨] .

قال أبوعبدالرحمن : أبومحمد عبدالحق الإشبيلي المعروف بابن الخراط في جميع مؤلفاته من المعوِّلين على أبي محمد ابن حزم، وهو يروي مؤلفاته عن طريق شريح تلميذ ابن حزم.. ومؤلفات ابن الخراط نفيسة مليحة جداً، وقد

كتاب الإيصال و١/٢١٦/ب .

(١٠٢) انظر الوهم والإيهام ٢/ ٢٠٩ و١/ ٨٧أ و ١/ ٨١/أ .

(١٠٣) الوهم والإيهام ١/ ١٦٩ ب .

(١٠٤) الوهم والإيهام ١/ ١٣٩/ ب .

(١٠٥) الوهم والإيهام ١/ ١٤٠/ ب .

(١٠٦) الوهم والإيهام ١/ ١٣٥/ ب .

(١٠٧) الوهم والإيهام ١/ ١٥٤/ ب .

(١٠٨) الوهم والإيهام ١/ ٢٥٠/ب .. وعبدالحق يروي كتب ابن حزم بهذا الإسناد : أخبرني القري: أخبرنا شريح: أخبرنا أبومحمد: انظر الوهم والإيهام م / ٨٥/ ب .

تخريج الأحاديث في بقية كتبه، ولم يتعب نفسه في المراجعة ؛ ولهذا دخل عليه نقص كثير في الحكم على الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً .. وبهذه المناسبة أشير إلى أن أبا محمد عبدالحق بن الخراط بنى كتابه الأحكام على كتاب المنتخب المنتقى لأبي عمر أحمد بن عبدالملك الأنصاري ابن أبي مروان (ـ ٥٤٩) الذي جمع فيه ما افترق في أمهات المسندات من نوازل الشرع وكان ظاهرياً [(١١١)]، ولأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي صاحب كتاب الذيل والتكملة كتاب جمع فيه بين كتابي ابن القطان وابن المواق على الأحكام لعبدالحق مع زيادات نبيلة من قبله .

وقال الشيخ محمد المنتصر الكتاني عن الوهم والإيهام : « فقد رد عليه ابن المواق الفاسي، وانتصر له ابن عبدالملك المراكشي، ورتبه مغلطاي الحافظ المصري.. وهو عمدة الحافظ ابن حجر المصري في جميع مؤلفاته الحديثية، كما رتبه صدر الدين بن المرجل »[(١١٢)] .

قال أبوعبدالرحمن : وعمدتي في الرجوع إلى كتاب ابن القطان « بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام » صورتان لنسختين خطيتين صورتهما من معهد المخطوطات بمصر، ولقد طبع أخيراً في ستة مجلدات بتحقيق الدكتور الحسين آيت سعيد ، وصدر عن دار طيبة بالرياض عام ١٤١٨هـ .

ومن تلك النصوص قول صلاح الدين الصفدي (٦٩٦-٧٦٤هـ): «أنشدني الحافظ المحدث الأديب فتح الدين محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمري بالقاهرة المحروسة قال: أنشدني والدي قال : أنشدني الحافظ أبوالعباس أحمد بن محمد بن مفرج البناني[(١١٣)] قال : أنشدني

---

(١١١) التكملة ١/ ٥٤-٥٨ رقم ١٦٣ .

(١١٢) فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى ص٢٠٣ .

(١١٣) مصحفة عن النباتي .

أبوالوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال : أنشدني الحافظ أبوالعباس أحمد ابن عبدالملك قال : أنشدنا أبواسامة يعقوب قال : أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبومحمد ابن حزم لنفسه :

من عذيري من أناس جهلوا ... ثم ظنوا أنهم أهل النظرْ

ركبوا الرأي عناداً فسروا ... في ظلام تاه فيه من عبرْ

وطريق الرشد نهج مهيع ... مثلما أبصرت في الأفق القمرْ

وهو الإجماع والنص الذي ... ليس إلا في كتاب أو أثرْ

ولابن حزم أيضاً أبيات عينية في هذه المادة أضربت عن إثباتها لطولها إلا أنه ختمها بقوله :

فخيرُ الأمورِ السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائعُ

وقد بالغ في الشناع حيث قال :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدثتني ... فعليك إثم أبي حنيفة أو زفر

الواثبين على القياس تمرداً ... والراغبين عن التمسك بالأثر

واستطرد استطراداً قبيحاً (وحاش لله) ليس أبوحنيفة وزفر ممن يُقال في حقهما مثل هذا [١١٤] .

وقال الصفدي : « وعلى ذكر ما الموصولة أنشدني من لفظة الشيخ الإمام الحافظ أبوالفتوح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال : أنشدني والدي أبوعمرو محمد قال : أنشدني والدي أبوبكر محمد قال : أنشدني ابن عروة القيسي قال : أنشدني أبوعبدالله محمد بن أبي محمد بن علي بن سعيد ابن حزم الظاهري لنفسه :

(١١٤) الغيث المسجم ١/ ٦٤-٦٥ .

تجنب صديقاً مثل ما واحذر الذي ... تراه كعمرو بين عرب وأعجم

فإن صديق السوء يزري وشاهدي ... كما شرقت صدر القناة من الدم

قلت : قوله : « مثل ما » أي صديقاً يحتاج إلى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة إلى الصلة والعائد، واحذر الذي تراه كعمرو أي صديقاً فيه زيادة لا حاجة إليها كالواو التي في آخر عمرو ؛ لأن صديق السوء يزري بصاحبه كما أن المؤنث إذا جاور المذكر أكسبه التأنيث كقولهم : ذهبت بعض أصابعه .. وكقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

لأن الصدر الذي هو مذكر لما أضيف إلى القناة أنّث فعله وهو شرقت، والتأنيث سُوءٌ بالنسبة إلى التذكير.. قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [سورة آل عمران / ٣٦] وهذا البيت مما أنشده سيبويه، وأهل الكوفة يستشهدون به، وساقه ابن السكيت في كتاب المذكر والمؤنث له، ويحتمل أن يكون أراد بالذي كعمرو عمراً الذي في قول الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

والأول أليق وأحسن[١١٥] ».. وقال الصفدي : « وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى :

إن كنت لست معي فالذكر منك معي ... يراك قلبي وإن غيبت عن بصري

العين تبصر من تهوى وتفقده ... وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال في هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى :

إن تغيبوا عن العيان فأنتم ... في قلوب حضوركم مستمر

---

(١١٥) الغيث المسجم ١/٤٠٩-٤١٠ .

بيتي ابن حزم الظاهري، وهما :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدثتني ... فعليك إثم أبي حنيفة أو زفر

الواثبين على القياس تمرداً ... والراغبين عن التمسك بالأثر

فأنشد :

ما كان يحسن يا ابن حزم ذمُّ من ... حاز العلوم وفاق فضلاً واشتهر

فأبوحنيفة فضله متواتر ... ونظيره في الفضل صاحبه زفر

إن لم تكن قد تبت من هذا ففي ... ظني بأنك لا تباعد من سقر

ليس القياس وقد تكون أدلة ... للحكم من نص الكتاب أو الخبر

لكن مع عدمٍ تُقاس أدلة ... وبذاك قد وصَّى معاذاً إذ أمر[121]

وقال المحبي عن عبدالحفيظ المذكور : « ولما أنشد بعض من حضر مجلس سماعه في الحديث بزبيد المحروسة على شيخه محمد الخاص الحنفي بيتي ابن حزم الظاهري وهما :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدثتني ... فعليك إثم أبي حنيفة أو زفر

الواثبين على القياس تمرداً ... والراغبين عن التمسك بالأثر

أخذ الشيخ في ذم ابن حزم لأجلهما؛ فقال صاحب الترجمة بديهة :

ما كان يحسن يا ابن حزم ذم من ... حاز العلوم وفاق فضلاً واشتهر

فأبوحنيفة فضله متواتر ... ونظيره في الفضل صاحبه زفر

إن لم تكن قد تبت من هذا ففي ... ظني بأنك لا تباعد من سقر

ليس القياس وقد تكون أدلة ... للحكم من نص الكتاب أو الخبر

(١٢١) نفحة الريحانة ٣/ ٣٧٠-٣٧١ .

لكــن مــع عــدمٍ تُقــاس أدلــة وبذاك قد وصّى معاذاً إذ أمر

فأعجب الحاضرون بذلك، وكتبوه عنه في الحال »(١٢٢) .

قال أبوعبدالرحمن : رد عبدالحفيظ نظم بارد ميت، وهذا المقلد النكرة عدا طوره في شتمه للإمام أبي محمد ابن حزم، والأفظع من ذلك أن البيتين ليسا من شعر ابن حزم، بل قيلا قبل أن يولد ابن حزم ؛ فهذا الخطيب البغدادي ينسبهما لأحمد بن المعذل، ولم يولد ابن حزم إلا بعد موت ابن المعذل بقرون، وهذا ابن عبدالبر يروي عن غلام خليل ـ وهو قبل ابن حزم بقرون ـ أنهما لأحد البصريين، وهذا الإمام الطحاوي (وهو قبل ابن حزم بقرون) يسمعهما فيقول: وددتُ أن لي أجرهما وحسناتهما وعلي إثمهما وسيئاتهما(١٢٣) .

ولعل أبا محمد ابن حزم رأى هذين البيتين في كتاب جامع بيان العلم أو غيره فاستشهد بهما .. ولأبي حنيفة وزفر وغيرهما من الأتباع رحمهم الله جنوح عن النصوص الشرعية اتباعاً للأقيسة غير متعينة الاحتمال والآراء المرسلة .. ولو كانت آراؤهم هذه في الأدب أو اللغة أو الثقافات النظرية لفرحنا بها افتخاراً بالتراث العربي، أما مع حضور النصوص الشرعية فالمطلوب مراد شرعي لا ثقافة بشرية، ومن النصوص الإحالة إلى العفو والبراءة واستصحاب الحال .

ومن النصوص التي تحتاج إلى محاكمة قول أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الجياني [ـ ٤٨٦هـ] .. قال محمد إبراهيم الكتاني : « كتاب التنبيه على

(١٢٢) خلاصة الأثر ٢/ ٣٠٨ .

(١٢٣) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٣٩٣، وجامع بيان العلم ٢/ ٩٥-٩٦، ولسان الميزان ١/ ٢٧٦، ومقدمة سعيد الأفغاني لملخص إبطال القياس ص٩ .

شذوذ ابن حزم لمعاصر ابن حزم أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي[١٢٤] الجياني القرطبي المشاوَر بها، نزيل سبتة، وقاضي طنجة ومكناسة وغرناطة، المتوفى سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م : يندد بابن حزم فيما خالف الحق، ونافر الصدق من غمطه على أئمة الدين، واستخفافه بأقدار العلماء الراسخين، وقطعه عمره في تزييف دقائق علومهم وبديع أقوالهم في الأصول والفروع، وترك ما وجب عليه وعلى غيره ممن يدين بالإسلام من اتباعهم بإحسان، والدعاء لهم بالرحمة والغفران[١٢٥].. ويذكر أن شرذمة لا دين عندها، ولا عقل معها، ولا خلاق

(١٢٤) قال **أبوعبدالرحمن** : سيصدر إن شاء الله عن دار ابن حزم قريباً دراسة لهذا الكتاب .

(١٢٥) قال **أبوعبدالرحمن** : هذا افتراءٌ محض، فأبومحمد كثير الدعاء والترضي عن الأئمة، والإشادة بعلمهم وفضلهم مع الموازنة العادلة في كتابه « الرسالة الباهرة » وهي مختصر يوضِّح منهجه في جميع كتبه، وإنما حملته العنيفة على العوام المتسمِّين بالفقه، المجادلين بالباطل ولا علم عندهم ممن بُليَ بهم من غوغائهم أهل بلده.. قال رحمه الله في «الرسالة الباهرة » ـ بعد كلامه النفيس عن الأئمة والموازنة ـ ص٢٢-٢٣ : « وأما الخشارة التي نحن فيها فاكثرهم ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النحل/ ٢١] ، ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان/ ٤٤] .. لا يحققون حقيقة، ولا يأنفون من حماقة، ولا يسألون عن برهان، ولا يُبالون كيف أخذوا دينهم في اتباع ما وجدوا عليه آباءهم وكبراءَهم ومن نشؤوا بين أظهرهم كما فعل أهل الكتاب سواءً سواءً، وقد أنذر رسول الله ﷺ بذلك؛ إذ أخبر أننا سنركب سننَ مَن كان قبلنا حتى لو دخلوا جُحر ضب خرب لدخلناه.. فقيل له: يا رسول الله: آليهود والنصارى؟.. قال : فمن إذن .. أو كلاماً هذا معناه .. نعوذ بالله من الخذلان والضلال، ونسأله الثبات على ما مضى عليه الصحابة والتابعون ومن قفا سبيلهم وصبر على مُرِّ الحق إذ فسد الأكثر، وأن يعصمنا من بدعة التقليد المحدَث بعد القرون الثلاثة المحمودة.. آمين.. قال أبومحمد رحمه الله : ولو استطاعت هذه الطائفة المستأخرة من الحنفية والمالكية أن يدَّعوا لصاحبهم أنه تكلَّم في المهد ما تأخروا عن ذلك، فقد

لها: مالت إلى القول بمذهبه، ومطالعة تآليفه التي لا تفيد إلا سب من سلف، والطعن عليهم والمعاداة لهم[١٢٦]؛ فرأى التنبيه على قبح مذهبه، وسوء معتقده للأئمة[١٢٧]، وفاضلي هذه الأمة، وإظهاره : لثلبهم في كل باب من تآليفه.. ولهجته بالاستخفاف بهم في كل ورقة من تصنيفه فِعْلَ من لا يتقي الله تعالى ولا يستحيي من عباده ولا يراعي حق سلفه.. ويذكر طرفاً من جهله فيما أورد، واضطرابه فيما ذكر، وتصحيفه لما نقل وسطر، وقوله بما لم يقله من تقدم أو تأخر.

والمؤلف ينقل فصلاً من كلام ابن حزم قد يبلغ الورقة والورقتين ثم يعقب بالرد عليه بسيل جارف من السب الفاحش، والقذف اللاذع البذيء، واللعن والتكفير.. وهو يملك ثروة ضخمة جداً من هذه الألفاظ النابية ينفق منها على ابن حزم في إسراف وتبذير في لهجة مَنْ توتَّرت أعصابه وفقد السيطرة عليها ؛ فهو مخذول، ضال شقي، مارق، معطل، جاهل، مفتون، وقح، معاند، فاسد، كافر ملحد، مخلط، مستخف، سخيف العقل، قليل الدين، عديم الحياء، مفارق لجماعة المسلمين، متلاعب بدينه، كذّاب أشِر، أعمى البصيرة، تائه في مهْمَه الحيرة، سابح في بحر العمى والظلمة.. ما حاول في كتبه إلا هدم الإسلام

رأيت في بعض الكتب التي جمعوها في فضائل مالك رحمه الله : أنه كان في فخذه مكتوب بالنور « مالك عدة الله » .. وأدخلوا في فضائله أنه قام خمساً وعشرين سنة ليس بينه وبين مسجد رسول الله إلا نيف وعشرون خطوة، ولم يُصلِّ فيه صلاة فرض ولا جمعة !!.. وهذا لا يدخل في الفضائل أصلاً، بل هو مما يجب أن يُعتذر له منه ، وما نظن به في ذلك إلا خيراً أو عذراً » .

(١٢٦) قال أبوعبدالرحمن : هذا هو والله الافتراء على السلف بعينه ومعاداتهم؛ لأنه يقدح في إمام من أئمة المسلمين بالدعوة المجردة دون شاهد مع تعمد طمسه قيام هذا الإمام في نشر علم السلف والدفاع عنهم .

(١٢٧) هذا أسلوب أعجمي.. يريد معتقده فيهم أو عنهم .

العلم الحديث من كروية الأرض، وحسبك من جهله أنه يستخف بكتاب ابن حزم في الملل والنحل وهو أحد كتب قلائل يفخر بها التراث العربي والإسلامي في هذه العصر .

وكتاب المرطار في اللهو والدعابة من تأليف ابن حزم أول من ذكره أبوالأصبغ، وقد رأيت نصوصاً كثيرة منقولة عن ابن حزم في الجذوة كلها من باب اللهو والدعابة .

وقال علي بن محمد بن علي الرعيني من أعيان القرن السابع: « أخبرني [يعني أبا الحسين محمد بن زرقون] قراءة عليه وسماعاً من لفظه قال : حدثني الحافظ أبوبكر الجد قال : حدثني أبوالحسن بن الأخضر قال : حدثني أبوالحجاج الأعلم : أنه لقي ابن حزم، فقال له مكان التحية : يا أستاذ: هل تجمع العرب فاعلاً على فعلان؟ .. قال : فقلت له : نعم.. وأخذت أورد له أمثلة على جهة البيان .. فطفق يركض دابته غير مصيخ للجواب وهو يقول : أرحتني من سبحان .. أرحتني من سبحان ! .

قلت : وقد ذكر نحو هذا عنه القاضي أبوالأصبغ بن سهل في كتابه الذي سماه بالتنبيه على شذوذ ابن حزم، وقال : إن الأديب أبابكر محمد بن أغلب المرسي حدثه : أن الأعلم ذكر ذلك في نحو ما تقدم.. إلا أنه قال : إن ابن حزم قال له عندما أجابه عن سؤاله : فما يمنع أن يكون سبحان جمع سابح ؟.. قال الأعلم : فعجبت من جهله اهـ»[١٢٩] .. وذكر عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور العبدري : أنه قرأ على المحدث أبي العباس أحمد بن سلمة الأنصاري كتاب حجة الوداع لابن حزم[١٣٠]، وذكر أنه قرأ على أبي الحسين محمد بن القاضي

---

(١٢٩) الإيراد ص٣٣-٣٤ .

(١٣٠) الإيراد ص١٧٢ .

ورابعها : في سياق هذا الخبر روح العداء والتعصب؛ لأنه ذكر فيها أن ابن حزم قال للأعلم مكان التحية : يا أستاذ ! .

قال **أبوعبدالرحمن** : محال أن يترك إمام المسلمين أبومحمد ابن حزم تحية الإسلام، ومستبعد أن يسأل الأعلمَ وهو صبي ويلقبه بالأستاذ، ومحال أن يجهل أبومحمد بداءة التصريف وهو إمام في العربية قبل أن يكون إماماً في الفقه، ومستبعد أن يصح هذا الخبر فلا يتناقله الناس الذين يفرحون بكل طريفة ظريفة عن ابن حزم ويكون هذا الخبر وقفاً على خَصْمَيْ ابن حزم (ابن زرقون، وابن سهل)، ثم مع هذا لا تشتهر القصة في ترجمة الأعلم بكتب الأعلام .

قال **أبوعبدالرحمن** : ومع هذه البلايا في هذا الخبر فلو صح ـ وهو لا يصح ـ لكان الأمر أبرد من ماء التشرين، ولا يضير إمامة ابن حزم ذلك .

وابن الجد كما قال ابن الأبار : يحدث من حفظه بأشياء غريبة(١٣٢) .

ومن النصوص التي تحتاج إلى محاكمة قول ياقوت الحموي [٥٧٤-٦٢٦هـ] : «قرات بخط أبي بكر محمد بن طرخان بن بلتكين بن بجكم قال : ولد الشيخ الإمام أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بقريته، وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة ٤٥٧.. والقرية التي له على بعد نصف فرسخ من أونبة يقال لها متليجم وهي ملكه وملك سلفه من قبله .. قال : وقال لي أبومحمد ابن العربي : إن أبا محمد ابن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونبة، ثم انتقل إلى قرطبة وولي فيها الوزارة، ثم ابنه علي

(١٣٢) التكملة ٢/ ٦٥ ضمن رقم ١٧٧، وكانت ميزته أنه حافظ للمذهب مالك، ولم يكن الحديث شأنه، وأنه استفاد ثروة عظيمة.. هكذا ذكر عنه ابن الأبار، وقد مضت نصوص بعض العلماء عن كذب خصوم ابن حزم عليه، بل وجدنا الإمام ابن حزم نفسه ينفي عنه بعض الأكاذيب في حياته في ردوده على العتقي وابن البارية .

الإمام، وأقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستاً وعشرين سنة .. وقال : إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات.. قال : قال لي الوزير أبومحمد ابن العربي : أخبرني الشيخ الإمام أبومحمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم : أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه؛ فدخل المسجد قبل صلاة العصر والحفل فيه، فجلس ولم يركع؛ فقال له أستاذه (يعني الذي رباه) بإشارة : أن قُمْ فصل تحية المسجد .. فلم يفهم.. فقال بعض المجاورين له : أبلغت هذا السن ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة (وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عاماً) .. قال : فقمت وركعت وفهمت إذن إشارة الأستاذ إليَّ بذلك .. قال فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحياء من أقرباء الميت دخلت المسجد فبادرت بالركوع ؛ فقيل : اجلس اجلس .. ليس هذا وقت صلاة، فانصرفت عن الميت وقد خزيت، ولحقني ما هانت عليَّ به نفسي، وقلت للأستاذ : دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبدالله بن دحون؛ فدلني، فقصدته من ذلك المشهد، وأعلمته بما جرى فيه، وسألته الابتداء بقراءة العلم، واسترشدته؛ فدلني على كتاب الموطإ لمالك بن أنس رضي الله عنه ؛ فبدأتُ به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة .. قال : وقال لي الوزير الإمام أبومحمد ابن العربي: صحبتُ الشيخ الإمام أبا محمد علي ابن حزم سبعة أعوام، وسمعت منه جميع مصنفاته حاشى المجلد الأخير من كتاب الفصل، وهو يشتمل على ست مجلدات من الأصل الذي قرأنا منه ؛ فيكون الفائت نحو السدس .. وقرأنا من كتاب الإيصال أربع مجلدات من كتاب الإمام أبي محمد بن حزم في سنة ٤٥٦، ولم يفتني من تاليفاته شيء سوى ما ذكرته من الناقص وما لم أقرأه من كتاب الإيصال .. وكان عند الإمام أبي محمد ابن حزم كتاب الإيصال في أربعة وعشرين مجلداً بخط يده، وكان في غاية الإدماج.

قال : وقال لي الوزير أبومحمد ابن العربي: وربما كان للإمام أبي محمد ابن حزم شيء من تواليفه ألَّفه في غير بلده في المدة التي تجوَّل فيها بشرق الأندلس فلم أسمعه، ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مرات عدة كثيرة .. آخرها كان بخط البجكمي رحمه الله »[١٣٣] .

قال **أبوعبدالرحمن**: أبوعبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي كان جماعاً للأخبار، وله أوهام كثيرة في كتبه .. أما هو في ذات نفسه فموثَّق غير متَّهم، ولعل كتابه (المقتضب) اختصار لجمهرة أنساب العرب لابن حزم، وهو لا يزال مخطوطاً .. وكذلك كتابه أخبار أهل الملل وقصص أهل النحل ذكره في معجم البلدان في مادة بربر، وربما لخَّص فيه فِصَل ابن حزم أو استفاد منه ؛ لأنه يحتفي بأبي محمد كثيراً.. وكتابه معجم الأدباء قال عنه الزركلي: (وفي النسخة المطبوعة نقص استُدرِك بتراجم ملفقة دست فيه)[١٣٤].

وابن طرخان الذي ذكره له ترجمة في الوافي للصفدي[١٣٥]، وقد شهدوا له بصحة النقل، وبالصلاح والزهد والعبادة والأمانة والصدق .. وشيخ ابن طرخان أبومحمد ابن العربي تلميذ ابن حزم ثقة، وياقوت ثقة .. إلا أن كل ما رواه ابن طرخان عن ابن العربي في هذه الترجمة ليس بصحيح والخطأ فيه من وجوه :

أولها : أنه حدد تاريخ وفاة أبي محمد بسنة ٤٥٧ والمتفق عليه أن وفاته سنة ٤٥٦هـ .

وثانيها : الزعمُ بأن أبا محمد أقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه

---

(١٣٣) معجم الأدباء ٤/ ١٦٥٢-١٦٥٣ .

(١٣٤) الأعلام ٨/ ١٣١ الطبعة الثامنة عام ١٩٨٩م ، وانظر مقدمة الأستاذ الدكتور إحسان عباس رحمه الله لمعجم الأدباء ١/ب – و .

(١٣٥) انظر الوافي ٣/ ١٦٩-١٧٠ .

ستاً وعشرين سنة.. قال **أبوعبدالرحمن** : أول ما ولي أبومحمد الوزارة للمرتضى في حدود سنة ٤٠٨ وعمره يقارب السادسة والعشرين، ولم يبقَ فيها إلا شهوراً.. هذا باتفاق المؤرخين، وقد نص ابن حزم على ذلك في الطوق .

وثالثها : أنه ذكر أن أبا محمد كان وزيراً وهو في السادسة والعشرين، وأن مربّيه كان معه، وأنه لا يعرف ما يعرفه العوام من أحكام الصلاة ؟! .

ورابعها : أن قراءة أبي محمد الفقه، واسترشاده إلى طلب العلم كان حسبما رواه ياقوت سنة ٤٠٩هـ حيث كان عمر أبي محمد ستاً وعشرين سنة، وهذا خطأ؛ لأن أبا محمد قرأ الحديث والفقه على المشايخ سنة ٣٩٩، ومن مشايخه الذين يروي عنهم بإكثار ابن الجسور وابن وجه الجنة، وكلاهما مات في سنتي ٤٠١-٤٠٢هـ .

وخامسها : أن ابن العربي يذكر حسب هذه الرواية : أن الفِصَل ستة أجزاء قرأ منها على أبي محمد خمسة وفاته السادس.. ومن هذا النص استدل بعض المتأخرين على أن كتاب الفِصَل المطبوع ينقص منه الجزء السادس .

قال **أبوعبدالرحمن** : الفِصَل خمسة أجزاء فقط والدليل على ذلك : أن أبا محمد ابن حزم قال: (وقد أحكمنا هذا غاية الإحكام والحمد لله رب العالمين في باب أفردناه لهذا المعنى في آخر كتابنا الموسوم بالفِصَل ترجمته باب الكلام على من قال بتكافؤ الأدلة) اهـ[١٣٦] .. وتكافؤ الأدلة من المباحث الأخيرة في الجزء الخامس؛ فدل ذلك على أن الفِصَل خمسة فقط .

وسادسها : أن دراسة أبي محمد كانت في المسجد: مسجد الجامع، ومسجد القمري، ومسجد بالرصافة.. وكل ذلك منذ سنة ٣٩٩ قبل أن يبلغ السادسة والعشرين بعشر سنوات؛ فكيف لا يعرف ما يعرفه العامي من أحكام الصلاة وهو ابن وزير يدرس في المساجد على مشايخ الفقه والحديث ؟! .

---

(١٣٦) الإحكام لأصول الأحكام ١/١٦ .

وسابعها : أن هذه القصة التي رواها ياقوت توحي بأن صلاته على الجنازة وهو ابن ست وعشرين هي أول صلاة يحضرها على الجنائز ؟! .. وهذا غير صحيح ؛ فقد أخبرنا أبومحمد رحمه الله أنه صلى على الجنائز قبل ذلك بأحد عشر عاماً أي وعمره خمس عشرة سنة عندما حكى صلاته على المؤيد(١٣٧) هشام.

وثامنها : يفهم من حديث ابن حزم المزعوم لابن العربي في هذا الخبر : أن ابن حزم لا يجيز الركعتين بعد العصر، وإنما أراد أن يصليهما في طفولته جهلاً بذلك .

قال **أبوعبدالرحمن** : ما شاء الله كان ! .. مذهب أبي محمد استحسان صلاة ركعتين بعد العصر، وقد نصر هذا المذهب بأبلغ حجة(١٣٨) .

وتاسعها : يفهم من هذا الخبر المكذوب : أن ابن حزم بعدما كبر يرى أن تحية المسجد واجبة ! .. قال أبوعبدالرحمن : وهذه طامّة أخرى؛ لأن تحية المسجد عند ابن حزم في آخر مؤلفاته سنة مؤكدة وليست واجبة(١٣٩) .

قال **أبوعبدالرحمن** : لهذا كله أقول : إن مَتْنَ هذا النص عن ابن العربي منكر جداً ؛ لأن كل حرف فيه ينافي البديهي المشهور من حياة ابن حزم : فإما أن نشك في ياقوت أو ابن طرخان أو ابن العربي لأجل هذا النص مع أن كل واحد منهم ثقة، وإما أن يكون ابن طرخان سمع كلاماً من ابن العربي لم يدوِّنه إلا بعد سنين فوهم، وإما أن يكون ياقوت قرأ خط رجل غير ثقة وكان يحسبه خط ابن طرخان، وإما أن يكون لا يعرف خط ابن طرخان فَغُشَّ بخط غيره .. ولسنا نزعم بأن النص محرَّف من ست عشرة إلى ست عشرين ـ كما قال أبوزهرة ـ ؛ لأن دعوى التحريف لا ترفع جميع بلايا النص ! .

---

(١٣٧) انظر الفِصَل ١/ ٤٧-٤٨ .

(١٣٨) المحلى ٢/ ٢٦٤-٢٧٥ و٣/ ٢-٧ ط م المنيرية .

(١٣٩) المحلى ٢/ ٢٣١ .

ملوك وأمراء عصره من لقبه المعتمد، وإنماهناك المعتمد بن عباد، ولم يدرك أبومحمد حكمَه، وهناك المعتَدُّ بالله آخر من وزر له أبومحمد من خلفاء بني أمية، فلعله المقصود .

والمظفر هو المظفر العامري الذي حكم بلنسية هو ومبارك العامري، وقد أدركه أبومحمد في بلنسية في آخر حياته سنة ٤٠٨هـ وقاضي بلنسية هو عمر بن محمد بن واجب، ولكن اليسع لم يدركه وبينهما سنين؛ فلعله يروي عن أحد أحفاده، ويكون في الكلام نقص .. على أن أبا محمد صار إماماً لأهل الظاهر متبحراً في العلوم قبل أن يبلغ قاضي بلنسية الحلم؛ لأنه لم يبلغ إلا قريباً من سنة ٤٢٥هـ، فكيف حضر أبومحمد مجلس صبي لم يبلغ الحلم ؟! .. ولقد شارك ابن واجب أبا محمد في السماع من شيخه أحمد الطلمنكي المتوفى سنة ٤٢٩هـ .

وقال عمر بن خليل يُحذِّر طالب العلم من كتب ابن حزم : « وليحترز من كلام ابن حزم إذا تكلم فيما يتعلق بأصول الدين وقواعد العقائد، وفيما يتعلق بالمعاني والحقائق؛ لأن هذا الرجل لم يكن من أهل هذا العلم؛ فلما تكلم فيما ليس يعنٌ له لم يحسن »(١٤٣) .

قال أبوعبدالرحمن : صاحب هذا النص هو أبوعلي عمر بن محمد بن خليل السكوني الإشبيلي المتوفى بتونس سنة ٧١٧هـ، وكتابه هذا عن أغلاط العامة في إيمانهم وبدعهم وعوائدهم، ومنهجه في هذا الكتاب لا يبعده عن غمار العامة الذين يرد عليهم؛ ولهذا كان حكمه على أبي محمد بأنه ليس من أهل العلم بالأصول والعقائد من عجائب عوام المتسبين للعلم الذين بُلي بهم أبومحمد في حياته وبعد مماته .. على أن أبا محمد غير موفَّق في كثير من مسائل الأسماء والصفات، وليس مرد ذلك لجهله، وإنما مرده لخطإ نظره في تطبيق

(١٤٣) لحن العامة ص٢٧٦ .

الظاهر .. مع أنه بحر لا ساحل له في العلم .

وقال أبوإسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي [ـ ٧٩٠هـ] : « لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلّما وجدت فرقة زائغة ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف؛ وبهذا الوجه وقع التشنيع على ابن حزم الظاهري، وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدب بآدابهم .. وبضدّ ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم » اهـ(١٤٤) .

قال **أبوعبدالرحمن** : إن الإمام الشاطبي قرة العين في كتابيه المليحين الموافقات والاعتصام .. إلا أن هذين الكتابين لا يساويان مجة من نمير ابن حزم مع ما فيهما من تعقيد وأخطاء ليس هذا محل بسطها .. هذه واحدة.

والثانية : أن الشاطبي غير مُحِقٍّ في زعمه أن أبا محمد عار عن الشيوخ؛ لأنني ما قرأت عن عالم يُشار إليه بالبنان في بلاد أبي محمد دون أن يتتلمذ عليه أبومحمد، بل هو من أكثر أترابه شيوخاً وله معجم بذلك.. ولكن أبا محمد يتميز بملحظين :

أولهما : أن روايته عن مشايخه بالإجازة، أو النقل عنهم فيما يجمع من طرائف وأخبار .

وآخرهما : أن له قلة من المشايخ الخلّص لازمهم في صغره ملازمة التلميذ، ثم كان له مشايخ لازمهم ملازمة الند يستفيد من علمهم ولا يستسلم لحضانتهم؛ لأن علمه وعقله أكبر من ذلك .

وقال الشيخ أبوعبدالله محمد أحمد عليش [١٢١٧-١٢٩٩هـ] : « واعلم أن أصل هذا الزيغ للظاهرية الذين كانوا ظهروا في الأندلس وتقوّت شوكتهم مدة، ثم محا الله آثارهم فشرعت هذه الشرذمة في إحيائها .. قال البرزلي : وأول من

---

(١٤٤) الموافقات ١/ ٩٥ .

طعن في المدونة سعيد بن الحداد ؛ ففي المدارك أن ابن الحداد صحب سحنون أولاً وسمع منه ونزع آخراً إلى مذهب الشافعي، بل كثيراً ما يخالفه ويعتمد على النظر والحجة وكان يسمّي المدونة المرونة[(١٤٥)]، وينقض بعضها، وذكر غيره أنه قال : ترك الناس السنن وانتقلوا إلى قولـه : قلت، رأيت .. ورفضه أصحاب سحنون، وهجروه، وأغروا به ابن طالب القاضي؛ فَهَمَّ به، ثم نشأت بينهما صحبة؛ فتركه، وبقي مهجور الباب قليل الأصحاب إلى أن ناظر آخراً عبدالله الشيعي وأخاه العباس عند دخولهما بدعوة بني عبيد القيروان؛ فمالت إليه قلوب العامة، وأجمعوا على فضله ؛ وذلك أنه قام معهم مقام ابن حنبل في القول بخلق القرآن، وباع نفسه في مناظرتهم لله تعالى وكان ناف على سبعين سنة[(١٤٦)] .

قال: قتيل الخوارج خير قتيل؛ لأنهم كانوا قتلوا اثنين من أصحاب سحنون، وأرادوا حمل الناس على مذهبهم ؛ فدخل منهم على أهل القيروان روعٌ كبير ؛ فناظرهم حتى أوقفهم وسلّمه الله منهم بحسن نيته .. ثم قال البرزلي : ورأيت في بعض تواريخ الأندلس أن ابن حزم رأس الظاهرية بالأندلس.. قال : إنما أشهر مذهب مالك والمدنيين وهذه الفروع بأفريقية دخولُ سحنون بن سعيد

---

(١٤٥) هكذا في الأصل من الطبعة، والذي في المصادر المدوَّدة.. قال الذهبي في العبر ٢/ ١٢٢ في كلامه عن الحداد : « وأخذ يُسمّي المدوَّنة المدوَّدة.. وللحداد ترجمة حفيلة في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠٥-٢١٤، وقد ذكر ص٢٠٦: أن الحداد صنف في الرد على المدونة.. وأحال محقق السير إلى نص لابن خلكان في الوفيات ٣/ ١٨١-١٨٢ عن المدونة، ولم أجده بطبعة الدكتور إحسان عباس بعد طول تتبُّع .

(١٤٦) قال أبوعبدالرحمن : هذا من فضله رحمه الله؛ فما وجه الطعن عليه. ثم إن ترك «المدونة» إلى نصوص الشريعة المطهرة مع النظر وطلب البرهان مدح ومنقبة؛ فكيف يعد هذا عيباً لولا التعصب الأعمى في الفروع.. وما على العاجز في تقليده، وأن ذلك من سؤال أهل الذكر، ولكن ليس له أن يعيب بجهله من يملك النظر والاختيار .

ومُبْتدي[١٤٨] الطلبة ؛ فإذا سئل عن مسألة يقول لمن حضره أو السائل : ما قلتَ أنت فيها، وما ظهر لك ؟ .. ولا يزال يستميل حتى ينطق فيها بشيء من رأيه ؛ فيجوِّد فعله ويستحسن رأيه ويقول : قولك فيها خير من قول مالك، ويُزيِّن له ذلك، ويشككه في نفسه حتى يصير يرى رأي نفسه ويتعاظم، ويقع في مالك وغيره من العلماء.. وقد سلطتُ عليه في شيء كثير؛ فخمل أمره، واستجهله أهل الفروع بالأندلس، ولم يزل في خمول وعدم اعتناء في مذهبه[١٤٩] .

وكثر أهل الشورى والفقه والوثائق بالأندلس حتى خرج الموحدون وأخذوا مراكش من لمتونة حاضرة ملكهم؛ فوجدوا فيها كتب فقه كثيرة فاستصعبوها وباعوها من الشواشين[١٥٠] وغيرهم، وتقدموا إلى الفقهاء الفرعيين، ولما أن اطمأنت بالأمير عبدالمؤمن الدار جمع الفقهاء ـ: إما لاختيار مذهبهم، أو[١٥١] حملهم على مذهب ابن حزم ـ ؛ فحكي عن أبي عبدالله ابن زرقون جامع الاستذكار والمنتقى .. قال : كنت فيمن جمعهم ؛ فقام على رأسه كاتبه ووزيره أبوجعفر ابن عطية ؛ فخطب خطبة مختصرة، ثم رد رأسه إلى الفقهاء، وقال لهم :

---

(١٤٨) قال **أبوعبدالرحمن** : هذا أسلوب أعجمي غير مفهوم !.

(١٤٩) قال **أبوعبدالرحمن** : إن صح هذا الكلام فهو كلام الباجي في خصمه.. وأبوالوليد الباجي رحمه الله على جلالته في حفظ مسائل الفروع والأصول على مذهب المالكية لا يسبح في بحر أبي محمد ابن حزم رحمه الله.. وأخذه رحمه الله برواية مختصرة تمسك بها على أن الرسول ﷺ كتب يوم الحديبية دليل على عدم تمكنه في الحديث، وأنه إذا أراد أن يجتهد خارج المذهب ضاع.. وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ ، وأهل العلم درجات رحم الله جميعهم .

(١٥٠) لم أجد لها معنى يليق بالسياق لا من تاج العروس ، ولا من تكملة المعاجم للدوزي إلا إن كان المراد أبناء الإماء والمماليك ؛ فهذا معنى للشواشين كما في تكملة المعاجم.

(١٥١) الصواب وإما ، وانظر التعليقة (٥٨) .

فقال (كالمنكر علي) : وهي السنة أيضاً .. وكررها، فقلت : ثبت في الصحيح أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وصلى، ثم جاء وسلم عليه، فرد عليه، وقال : ارجع وصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات.. ثم قال له : والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني ؟ .. فقال له : إذا افتتحت الصلاة إلى آخر الحديث .. فأمره بإعادة الوقتية، ولم يأمره بإعادة ما خرج وقته من الصلوات؛ فعلى هذا بنى الفقهاء أمرهم فيمن دخل عليه خلل في الصلاة[١٥٤] .. فلما أصغى إليَّ اتسع لي القول، فقلت له : يا سيدي جميع ما في هذا الكتاب مبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف والإجماع[١٥٥]، وإنما اختصره الفقهاء تقريباً لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبين؛ فانطلقت ألسنة الفقهاء الحاضرين حينئذ ووافقوني على ما قلت، ثم دعا؛ فقال : اللهم وفقنا يا رب العالمين.. وقام إلى منزله، فقال الوزير: أقدمت على سيدنا اليوم يا فقيه .. فقلت : لو سكتُّ للحقني عقوبة الله تعالى .. قال : فكنت أدخل بعد ذلك على عبدالمؤمن فأرى منه البر التام والتكرمة، ثم سكت الحال بعد ذلك حتى جاء أيام حفيده الأمير يعقوب؛ فأراد حمل الناس على كتب ابن حزم، فعارضه فقهاءوقته وفيهم أبويحيى بن المواق وكان أعلمهم بالحديث والمسائل ؛ فلما

---

(١٥٤) قال أبوعبدالرحمن : الدعوى صحيحة، والاحتجاج بهذا الحديث غير صحيح؛ لأنه تعليم لمن يجهل الصلاة كيف يعمل، وليس أمراً لعالم بها أن يعيد في الوقت .

(١٥٥) قال أبوعبدالرحمن : كل أهل مذهب يقولون عن مختصراتهم هذا القول؛ وحينئذ فطالب العلم المؤهَّل أمام أمرين :

أحدهما : أن تكون كل كتب الفروع عنده صحيحة وإن اختلفت الأقوال؛ لأن كل مختصر مبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف والإجماع .

وثانيهما : أن يعمل كما أمره الله عند الاختلاف؛ فيطلب دليل الحكم بالنظر من نصوص الشرع ووجوه الدلالة .

سمع ذلك لزم داره وعارض وأكب على جمع المسائل المنتقدة على ابن حزم حتى أتمها وكان لا يغيب عنه، فلما أتمها جاء إليه؛ فسأله عن حاله وغيبته (وكان ذا جلالة عنده، وَمُبرّاً[١٥٦] له؛ فقال له : يا سيدنا قد كنت في خدمتكم لما سمعتكم تذكرون حمل الناس على كتب ابن حزم وفيها أشياء أعيذكم بالله من حمل الناس عليها، وأخرجت له دفتراً، فلما أخذه الأمير جعل يقرؤه ويقول : أعوذ بالله أن أحمل أمة محمد ﷺ على هذا .. وأثنى على ابن المواق، ودخل منزله، ثم سكت الحال بعد في الفروع وظهرت وقويت، والحمد لله »[١٥٧] .

قال **أبوعبدالرحمن** : البرزلي الذي ينقل عنه عليش هو أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني المالكي (٧٤٠-٨٤٤هـ) له النوازل، والفتاوى، والديوان الكبير في الفقه، وأغلب الظن أن مصدر البرزلي كتاب الفرق للباجي، والرد على المحلى لابن زرقون .

وحُكْم عليش على الظاهرية بالزيغ وحمد الله على انقطاع آثارهم : سببه أنهم دعوا إلى الاجتهاد، وأنكروا تقليد الأئمة الأربعة !! .

ولست أدري أي برهان لهؤلاء في تبديعهم من يُخطِّئ المدونة وكلها : قلت، ورأيت ؟! .. أليس هؤلاء مأمورين بالاجتهاد والتدبر في نصوص الشرع لا في نصوص المدونة ؟! .. هل جاءهم أمر من الله بأنه إذا توفي رسول الله ﷺ، وانقطعت الأجيال إلى عهد تأليف المدونة : فلا يسعهم عند الله إلا أن يقلدوا أمر دينهم لما تدلهم عليه المدونة !؟ .

---

(١٥٦) قال ابن منظور في لسان العرب الطبعة الملونة ص٣٧١ : « والبرُّ ضد العقوق ، والمَبَرَّةُ مثله. وبَرِرْتُ والدي بالكسر أبَرُّه براً وهو برٌّ به وبارٌّ . وابرُّ الله حجك لغة في برَّ الله حَجَّك أي قَبله » فهو يتعدى بنفسه وبالهمزة.

(١٥٧) فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ١/ ١٠٠-١٠٣ .

وإن صح ما زعمه الباجي من حوار ابن حزم لأخيه في اختصار العلم فهذا محمول بلا ريب على أن ابن حزم يتّهم إبراهيم الباجي بمقومات الاجتهاد؛ لما ظهر له من حرصه العلمي ؛ فدلّه على الطريق المستقيم.. على أن إبراهيم غير مشهور بين العلماء؛ وإنما المشهور أخوه أحمد .

وتحايل ابن حزم على الطلبة في كسر الجمود على مذهب مالك ـ إن صح ذلك ـ من السعي المشكور جزاه الله خيراً .

قال أبوعبدالرحمن : وبهذا أنهي مقدمتي هذه شاكراً للمحقق الفاضل هذه البداية الرائعة في التحقيق .. كما أشكر من ساعد في التصحيح من أمثال الشيخ أحمد يوسف القادري، والشيخ علي إدريس، وأستاذنا الدكتور محمد خير البقاعي، والحمد لله بدءاً وعدداً .

وكتبه لكم

أبوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

ـ عفا الله عنه ـ

تم الفراغ منه بمدينه الرياض ظهر يوم الخميس الموافق ١٢/ ١٢/ ١٤٢٣هـ ثم تمت المعاودة بالرياض أيضاً ظهر يوم الإثنين الموافق ٢٨/ ٣/ ١٤٢٥هـ وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .